

الوزير العالم العادل يحيى بن هبيرة الشيباني

الدكتور مريزن بن سعيد بن مريزن عسيري

قسم الحضارة والنظم الإسلامية
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الفصل الأول

دراسة عامة عن حياة الوزير ابن هبيرة

إن ما أتينا عليه في دراستنا هذه عن ابن هبيرة، استقيناه من مصادر كثيرة ومتنوعة في اهتماماتها ما بين كتب تاريخية، وأخرى تهتم بالتراجم والطبقات وثالثة بالبلدان وتلك التي تهتم بالأدب. وجميع هذه المصادر بشكل عام كان معينها في تشكيل هيكل دراستنا عن ابن هبيرة وعصره أربعة مصادر هي الأهم والأوثق في تناولها لشخصيته وتاريخ عصره، فقد كان أغلب مصنفيهما من المعاصرين له، بل إن منهم من كانت تربطه به رابطة الصداقة، والعلم والعمل، والمذهب والتوجه الفكري وهذه المصادر هي:

١ - "سيرة الوزير ابن هبيرة" لابن المارستانية عبيدالله بن علي بن نصر بن حمزة الطبيب المؤرخ (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م) ^(١)، وهذا المصدر المهم من حياة مترجمنا مفقودة، إلا أنه كان المنبع الأول لكل من كتب عن شخصية الوزير ابن هبيرة، وعليه فقد وصل إلينا هذا الكتاب أو على الأقل الكثير من معلوماته المهمة المرتبطة بحياته عامة وذلك من خلال هذه الكتب التي اعتمدت عليه، ولعل خير مثال على هذا كتاب "الذيل على طبقات الحنابلة" للحافظ عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)، الذي دون فيه الكثير من المعلومات في ترجمته للوزير معتمداً على كتاب ابن المارستانية هذا لاسيما تلك التي تناول شخصيته العلمية وتقننه في علوم الحديث.

٢ - "المنتظم في تاريخ الأمم والملوك" لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد

ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ^(٣)، الذي أعطانا فيه صورة عامة عن حياة الوزير في جوانبها العلمية والخلقية والسياسية والإدارية.

٣ - كتابان لأبي عبدالله عماد الدين محمد بن صفى الدين المعروف بالعماد الأصبهاني الكاتب (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠هـ) ^(٣)، وكان العماد الأصبهاني من أقرب المقربين إلى الوزير ابن هبيرة الذي ولاه العديد من الأعمال الإدارية أثناء وزارته، ومنها أنه ولاه على مدينة واسط نيابة عنه ^(٤)، وكذلك ولاه النظر بالبصرة ^(٥). ولذلك فما دونه العماد الأصبهاني في كتبه التي تتناول التاريخ السياسي والإداري والعلمي لفترة الوزير ابن هبيرة وعصره، تعد أوثق ما وصل إلينا عنها؛ لأنها كتبت عن خبرة ودراية وعمق وإلمام، من أديب ومؤرخ وإداري عاصر الأحداث ودون عن الأعلام. وقدم دراسات مستفيضة عن الأحوال العامة في عصره، نجدها مدونة في العديد من مؤلفاته وأخص منها بالذكر مما له علاقة بالوزير ابن هبيرة:

كتاب "خريدة القصر وجريدة العصر" الذي أعطانا فيه تفصيلات ممتعة وصورة واضحة عن حياة الوزير العلمية ومصنفاته، وأشعاره، والعديد من قصائد المديح التي قيلت فيه في حياته وبعد مماته ^(٦).

والثاني كتاب "تاريخ دولة آل سلجوق" وهذا الكتاب أفاد البحث كثيراً في إعطاء تفصيلات عن التاريخ السياسي لعصر الوزير، وما كان للوزير من أثر واضح في توجيه دفة الأحداث عامة لصالح الدولة العباسية.

٤ - والمصدر الرابع هو: "زبدة التواريخ، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية" لمؤلفه صدر الدين علي بن ناصر الحسيني (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) ^(٧)، وعلى الرغم أن المؤلف لم يعاصر حياة الوزير ابن هبيرة، كما أن كتابه هذا مخصص لدراسة تاريخ الدولة السلجوقية، إلا أنه أفاض في إيراد معلومات مفصلة عن أثر الوزير ابن هبيرة في الجانب السياسي والحربي والإداري، وما كان يتمتع به من حنكة سياسية ثاقبة، ودراية إدارية، وإرادة قوية في مواجهة الأحداث الطارئة.

نسبه، مولده ونشأته:

أبو المظفر عون الدين يحيى ابن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد الشيباني^(٨)، وكانت ولادته سنة (٤٩٩هـ / ١١٠٥م)^(٩) في قرية بالعراق تعرف بقرية بني أوقر من أعمال دجيل^(١٠)، وهي دور عرمانيا، ثم أصبحت باسم دور الوزير^(١١) نسبة إليه إذ كان والده من أجنادها^(١٢).

ونشأ ابن هبيرة الأعوام الأولى من حياته حتى ناهز سن الشباب في هذه القرية فقيراً حتى أنه كان يبقى أياماً لا يجد قوت يومه^(١٣)، ويصور لنا حاله فيقول "كان عندنا في القرية نخلة في المسجد تحمل ألف رطل تمر، فكان أخي معين الدين يقول: يا أخي كفانا بهذه"^(١٤)، وعلى الرغم من حالة الفقر هذه التي عاشها في صباه إلا أن والده كان يهتم به قبل وفاته فيسّر له سبل التعليم الأولى "وكان يحث ولده على تحصيل الأدب، وإدراك الفوائد، وكان يردده صغيراً إلى بغداد ويحضره إلى مجالس الصدور، وصدور المجالس"^(١٥).

يذكر ابن الطقطقي أن والده توفي ولم يزل ابنه يحيى يافعاً صغيراً لم يشد عوده "فتفرد بالاشتغال، وتقلب به تصارييف الأمور، ومرت عليه شدائد، وكابد من الفقر أهوالاً"^(١٦)، واضطرته هذه الأحوال السيئة إلى ترك بلده وجاء إلى بغداد وهو في سن الشباب^(١٧).

وهناك في بغداد حيث يوجد كبار العلماء والشيوخ، والمدارس والمعاهد العلمية المتعددة، والإدارات ومؤسسات الدولة، كان لابد له في مثل هذا النمط من الحياة المختلفة عن حياة بلده، "الدور" أن يبدأ هو حياة جديدة، إذ إن بغداد كانت دائماً مشرعة الأبواب للطامحين من أهل الاقتصاد والتجارة، والسياسة، وكانت كعبة للعلم والعلماء، وملتقى لطلاب العلم والمعرفة "فاشتغل بالعلم، وجالس الفقهاء والأدباء، وكان على مذهب الإمام أحمد بن

حنبل رضي الله عنه، وسمع الحديث وحصل من كل فن طرفاً، وقرأ الكتاب العزيز وختمه بالقراءات والروايات، وقرأ النحو، واطلع على أيام العرب وأحوال الناس ولازم الكتابة، وحفظ ألفاظ البلغاء، وتعلم صناعة الإنشاء^(١٨).

وفي تلقيه لهذه الفنون العلمية المختلفة تتلمذ على يد كبار علماء عصره فأخذ علم الحديث وسمع الكثير منه على جماعة منهم^(١٩):

القاضي ابن أبي يعلى محمد بن محمد بن الحسين ابن الفراء (ت ٥٢٦هـ / ١١٣١م) كان من كبار فقهاء الحنابلة في عصره، وله مصنفات عديدة في الأصول والفروع والطبقات والعقائد^(٢٠). ومنهم علي بن عبيد الله بن نصر بن السري أبو الحسن بن الزاغوني (ت ٥٢٧هـ / ١١٣٢م) من أعيان حنابلة بغداد وكان متفناً في علوم شتى من الأصول والفروع والوعظ والحديث، وصنف في ذلك كله، وكان له حلقة علم في جامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة^(٢١). وكذلك أخذ الحديث من محدث بغداد الثقة الثبت عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد أبو البركات الأنطاقي (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)^(٢٢). ومن مُسند العراق الثقة أبو غالب بن البناء أحمد بن الحسن بن أحمد البغدادي (ت ٥٢٧هـ / ١١٣٢م)^(٢٣). وسمع أيضاً من مُسند العراق أبي القاسم بن الحصين هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٥٢٥هـ / ١١٣٠م)^(٢٤).

وأخذ علم الفقه من فقيه بغداد وصاحب التصانيف المشهورة أحمد بن محمد بن أحمد الدينوري (ت ٥٣٢هـ / ١١٣٧م)^(٢٥) وتخرج ابن هبيرة على يديه في هذا العلم.

أما اللغة والأدب فأخذهما من إمام عصره صاحب "كتاب المعرب" ومدرسا لمدرسة النظامية أبي منصور أحمد بن محمد بن الخضر الجوالقي (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م)^(٢٦).

وكذلك أخذ النحو واللغة من الواعظ الزاهد الأديب صاحب التصانيف المعروفة محمد بن يحيى بن علي بن الزبيدي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ^(٢٧) إذ "كمل عليه فنوناً من العلوم الأدبية وغيرها" ^(٢٨) وصاحب ابن هبيرة سنين عديدة.

صفاته وأخلاقه:

أجمعت المصادر كافة التي كتبت عن الوزير يحيى ابن هبيرة، بأنه قد اجتمعت فيه من الصفات، والمزايا، والمحاسن الدينية، والخلقية، والسياسية والإدارية ما لم تجتمع في وزير من وزراء الدولة العباسية قبله ولا بعده.

ولقد كثرت هذه المزايا عن هذا الرجل في هذه المصادر إلى درجة تلفت نظر القارئ بشدة، وفيما أراه أن ذلك لا يخرج عن واحد من الأسباب الآتية، إن لم تكن الأسباب جميعاً معللة لشهرته، وهي على النحو الآتي:

* أن المصادر الأولى والتي استقت المصادر اللاحقة كافة عن حياته وأخلاقه وصفاته، صنفها جميعاً أصحابه، وكانوا على مذهبه الحنبلي، والحال وقد تولى وزارة الدولة العباسية أحد رجال المذهب الحنبلي، ويبدو أن ذلك للمرة الأولى، فلا بد لهم أن يسموه ويصفوه بتلك المزايا في ظل الصراع المذهبي الذي كان منتشراً في العراق ولاسيما في بغداد في القرنين الخامس والسادس الهجري ^(٢٩)، وعلى الرغم من أن ابن هبيرة كان حقيقة من الوزراء الأقوياء إلا أن تلك المصادر الأولى التي أرخت لحياته أثنت عليه كثيراً، وذلك في سبيل تدعيم المذهب ورجاله، خصوصاً إذا علمنا أن الشافعية المذهب الآخر القوي في بغداد، كان ندأً للمذهب الحنبلي منذ أيام الوزير السلجوقي الحسين بن علي بن إسحاق الطوسي الشافعي (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) ^(٣٠)، الذي نشر المدارس النظامية في بغداد والعراق والمشرق الإسلامي، وجعلها على المذهب الشافعي ^(٣١).

وربما أن شهرته وبروز سمعته تعود إلى ظروف العصر الذي ظهر فيه ابن هبيرة، سواء أكان ذلك من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، ذلك أن ما قام به من أعمال وإصلاحات بعد فترة التدهور التي أصابت العراق وأجهزة الدولة العباسية في العصور السابقة، أن جعلت العامة من الناس وعلماءهم وخاصتهم ينظرون إليه وإلى أعماله عامه نظرة احترام وتقدير.

* كان ابن هبيرة من عامة الناس، وعانى الشدائد والفقر في صغره وشبابه، وعاشر فئات المجتمع كافة وعاش حياتهم، ودرس وتعلم حتى صار من كبار العلماء، وتقلبت به الأمور، وحنكته الأيام وأعطته دربة ودراية، ولذلك عندما تولى الوزارة لم يكن من أصحاب المطامع السياسية أو الإدارية، بل كانت لنشأته تلك ولعلمه أكبر الأثر في حسن سيرته في الوزارة وعدله فاشتهر بين الناس، ويرجح الباحث السبب الأخير مع عدم إغفال أهمية السبب الثاني.

وكان الخليفة المقتفي يقول^(٣٢): "ماورز لبني العباس مثله"^(٣٣)، أما ابن الطقطقي فقال: "وكان المقتفي والمستنجد^(٣٤) يقولان: ماورز لبني العباس كيحيى ابن هبيرة في جميع أحواله"^(٣٥)، وقال الذهبي: "وكان شامة بين الوزراء لعدله ودينه وتواضعه ومعروفه"^(٣٦).

وقال العماد الأصبهاني: "كان ذا هيئة، ذاهية، مفوهاً، مهيباً وكان مقرباً لأولي الفضل والدين"^(٣٧).

وقال عنه ابن الجوزي: "كان متشدداً في اتباع السنة وسير السلف، وكان يجتهد في اتباع الصواب ويحذر الظلم، ولا يلبس الحرير... وما وجبت عليه زكاة قط،... وكان يتأسف على ماضي زمانه عن تندم ما دخل فيه"^(٣٨).

وقال ابن رجب على لسان ابن القطيعي: "كان ابن هبيرة عفيفاً في ولاته، محموداً في وزارته، كثير البر والمعروف، وقراءة القرآن، والصلاة والصيام يحب

أهل العلم، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم، جميل المذهب، شديد التظاهر بالسنة" (٣٩).

وقال ابن العمراني (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م) "ولو أخذت في ذكر مناقبه وحسن سيرته لجاءت مجلدات عظيمة، ولم أقدر استقصي على بعضها، ولم يُسمع بأن كان لبني العباس وزير مثله لا قبله ولا بعده رضي الله عنه وأرضاه" (٤٠).

وقال ابن المارستانية: "وكان الوزير شديد التواضع رافضاً للكبر شديد الإيثار لمجالسة أرباب الدين والفقراء" (٤١).

وقال الذهبي: "كان دَيِّناً، خَيْرًا، مُتَعَبِّدًا، عَاقِلًا، وَقَوْرًا، مُتَوَاضِعًا، جَزَلَ الرَّأْيَ، بَارًا بِالْعُلَمَاءِ، ... كبير الشأن حسنة الزمان" (٤٢).

والاستشهادات كثيرة في الكتب التي أرخت له، ولكن ما ينبغي الإشارة إليه هنا أن جميع تلك الصفات التي ذكرناها والتي ستحدث عنها الواحدة تلو الأخرى باستشهاداتها، تعد من أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها أي وزير سواء أكان ذلك من الناحية الشرعية (٤٣)، أم من حيث أن هذه الصفات مطلب مهم لمن يتولاها تقتضيه أمور السياسة لدى الخلفاء الأقوياء (٤٤) وعامة الناس. وهكذا فإن جميع المصادر تتفق على نعتة بالكثير من الصفات والمزايا، وتسرد لنا في ذلك الكثير من الروايات والأقاصيص التي تؤكد ماذهب إليه مؤلفوها في دراستهم لشخصية الوزير ابن هبيرة.

ولعل أهم ما يميز شخصية هذا الوزير هو دينه وورعه وتقواه، والواقع أن هذه على رأس قائمة شروط الوزير الصالح المميز، لأن جميع الصفات والتبعات الأخرى ستقوم صلاحيتها أو فسادها على هذه الصفة، فقد كان متشدداً في اتباع السنة وسير السلف (٤٥) على مذهب الإمام أحمد (رحمه الله) الذي يقول عنه: "ليس مذهب أحمد إلا الاتباع فقط، فما قاله السلف قاله وما سكتوا عنه سكت

عنه" ^(٤٦). ومن شدة ورعه أنه لم يكن يلبس الحرير مما اعتاد لبسه الكثير من الوزراء والكبراء ^(٤٧)، وكان يداوم قراءة القرآن والصلاة والصيام ^(٤٨)، ومن شدة ميله إلى العمل بالسنة أنه كان إذا اجتاز بسوق بغداد في أيام وزارته رفع صوته بذكر الله وتحميده وتسبيحه ^(٤٩)، وكان يقول "اتباع السنة سبب لكل خير" ^(٥٠).

قال ابن المارستانية: "ولقد بلغ من شدة الورع بحيث أحضر له كتاب من وقف المدرسة النظامية ليقرأ عنده فقال: قد بلغني أن الواقف شرط في كتاب الوقف: أن لا يخرج شيء من كتب الوقف وأمره برده" ^(٥١).

وتذكر العديد من المصادر حكاية متواترة رويت مع بعض الاختلاف عند أول وصوله إلى بغداد وكان فقيراً لا يجد قوت يومه، وهي تدل على قوة دينه وورعه وأمانته منذ صغره حتى أصبحت طبعاً في سيرته طول حياته ^(٥٢).

ومن ورعه وصدقه وأمانته أنه لم يحاب المستنجد قبل توليه الخلافة على حياة والده المقتفي، حين أرسل المستنجد إلى ابن هبيرة كتاباً مختوماً فقال ابن هبيرة للرسول: "ارجع إليه وقل له: إن كان فيه ما تكره أن يعلم به أمير المؤمنين فلا حاجة لك في فتحه؛ فإني أعرفه ما فيه، وإن لم تكن تكره اطلاعه عليه فافتحه، ثم أعطه الرسول، فمضى ولم يعد، وجعل في نفسه من ذلك شيء، فلما توفي المقتفي وولي المستنجد أمر بحضوره للمبايعه" ^(٥٣) وولاه الوزارة، وقال ابن هبيرة له: "يكفي في إخلاصي أني ما حايتك في زمن أبيك فقال: صدقت" ^(٥٤).

وكان الوزير ابن هبيرة أيام وزارته يتحدث بنعم الله عليه ويذكر في منصبه شدة فقره القديم، ويتأسف على ماضي زمانه ويندم على ما دخل فيه من أمر الوزارة وتبعاتها وحقوق الناس وصار يسأل الله الشهادة ^(٥٥).

إن أشعار الوزير التي رويت عنه في المصادر المختلفة تدل على تقواه وورعه وزهده فمن هذه الأشعار قوله^(٥٧):

تمسك بتقوى الله فالمرء لا يبقى	وكل أمرىء ما قدمت يده يلقى
ولا تظلمن الناس ما في أيديهم	ولا تذكرن إفكاً ولا تحسدن خلقاً
ولا تقربن فعل الحرام فإنما	لذاذته تغنى وأنت به تشقى
وعاشر إذا عاشرت ذا الدين تنتفع	بدربته واحذر معاشرة الحمقى

وقال^(٥٨):

يلذ بها العيش من ليس يعقل	ويزهد فيه الألمي المحصل
وما عجب نفس أن ترى الرأي إنها	العجبية نفس مقتضى الرأي تفعل

وكان شديد التمسك بالسنة حتى أن الحرير الذي اعتاد لبسه الكثير من الكبراء كان يتخرج من لبسه، فبعد رجوعه من إحدى المهمات دخل على الخليفة المقتفي فقال له: ادخل هذا البيت فغير ثيابك، قال ابن هبيرة: فدخلت فإذا خادم وفراش ومعهما حرير، فقلت: أنا والله ما ألبس هذه^(٥٩)، ويعلق العماد الحنبلي على فعل ابن هبيرة هذا ويقول: "وذا شيء لا يفعله قضاة زماننا ولا خطبائهم"^(٦٠)، ويقول ابن المارستانية: "وكان لا يلبس ثوباً يزيد فيه الابريسم على القطن"^(٦١).

ولقد كان لتلك المزية الدينية التي عرف بها ابن هبيرة، أثر كبير في اتسامه بالعديد من المزايا الأخرى التي لم يرق إليها إلا النادر من وزراء الدولة العباسية قاطبة.

لقد نعت ابن هبيرة بالوزير العالم العادل^(٦٢)، وقد عرف عنه بأنه كان يجتهد في اتباع الصواب ويحذر الظلم^(٦٣)، ومما يروى في عدله مما يدل على مدى اهتمامه

بحقوق الناس وقضاء حاجاتهم، والنظر في ذلك إلى العامة والخاصة بعين واحدة، مما قاله حين دخل عليه يوماً نقيب نقباء الطالبين الطاهر بن أحمد بن علي الحسيني^(٦٤) حين سأله رفع رقعة له إلى الخليفة المستنجد، وأن يتكلم له عند عرضها ولا يهملها، فتبسم ابن هبيرة، وقال: واللّه ما أهملت لأحد رقعة قط، ولا حاجة حضري ذكرها، ثم ذكر ابن هبيرة بعد كلامه حكاية عن الوزير ابن العميد^(٦٥): أنه وعد رجلاً النظر في ظلامته ومطله وسوّفه وقال: سنتظر فيها: فقال له بعض أصحابه: هذا كلام من لا يعرف ديبب الساعات في انخرام الدولة، فانتبه لها ابن العميد والآن يتولى رفع ظلمات المتظلمين^(٦٦).

كان ابن هبيرة عفيفاً في ولايته محموداً في وزارته كثير البر والمعروف^(٦٧)، إذ لم تمتد يده إلى شيء من أموال الدولة، وإنفاقها على الشعراء وأمثالهم مما ليس فيه مصلحة للمسلمين ولا يعود عليهم بالنفع، بل كان الرجل جواداً كريماً له مبرات وصدقات وأعمال خير كان ينفق عليها من ماله الخاص، الذي كان يبلغ مائة ألف دينار سنوياً^(٦٨)، وكانت نفقاته تلك على الفقراء وأصحاب الحاجات، وعلى العلماء وأعمال الخير قال ابن الجوزي: "وكان يكثّر مجالسة العلماء والفقراء وكانت أمواله مبدولة لهم وللتدبير، فكانت السنة تدور وعليه ديون، وقال ابن هبيرة: "ما وجبت علي زكاة قط"^(٦٩)، قال أحد الشعراء في ذلك:

يقولون يحبّي لا زكاة لماله وكيف يزكي المال من هو باذله

إذا دار حول لا يرى في بيوته من المال إلا ذكره وفضائله

وكان من مبراته سباط تقدم فيه ألوان الأطعمة كان أغلب من يحضره الفقراء والعميان^(٧٠)، والمصادر تورد حكايات كثيرة عن صدقاته ونفقاته على الفقراء وأصحاب الحاجات^(٧١).

ومن أعمال البر التي قام بها إنشاء المساجد والمدارس ، ذكر ياقوت أنه بنى بقريته الدور جامعاً ومئارة^(٧٣)، وكذلك بنى المدرسة التي دفن فيها يباب البصرة في بغداد^(٧٤).

فقد كانت أعمال البر والمعروف والصدقات طبعاً في سلوك الوزير ابن هبيرة (رحمه الله) الذي يقول في قصيدة له^(٧٥):

تعود فعال الخير جمعاً فكلما تعود الانسان صار له خلقاً

ومن مزاياه الخيرة التي ذكرها مصنفوا سيرته؛ شدة تواضعه قال ابن المارستانية: " وكان الوزير شديد التواضع، رافضاً للكبر، شديد الإيثار لمجالسة أرباب الدين والفقراء، بحيث سمعته في بعض الأيام يقول لبعض الفقراء وهو يخاطبه: أنت أخي والمسلمون كلهم إخوة"^(٧٦). وكان يخالط الناس في الأسواق والأماكن العامة^(٧٧)، ولم يكن يعيبه وهو في منصب الوزارة أن يحدث الناس عن حياته ومآله من شدة الفقر والحاجة حتى إلى رغي^(٧٨).

وأورد ابن المارستانية قصة الشيخ الذي قدم من الدور يريد السلام على الوزير، ومنعه الحاجب بعد أن أذن له ابن هبيرة بالدخول بسبب شملة رفض الحاجب أن يدخلها معه، وبعد أن أخبر الوزير بأمره: أمر أن يدخل الشيخ بشملته، ودخل يرتدي ملابس خلقه، وعرف بنفسه وقال: إن أم أولادي حين عرفت بمقدمي إلى بغداد قالت لي: " بالله سلم على الشيخ يحى عني، وادفع له هذه الشملة فقد خبزتها على اسمه، فتبسم الوزير إليه وأقبل عليه، وقال: الهدية لمن حضر، وأمر بحلها، فحلت الشملة بين يديه وإذا فيها خبز شعير، فأخذ الوزير منه رغي^(٧٩)ين، وفرق الباقي، ثم التفت إلى الجماعة وقال: هذا شيخ قد تقدمت له صحبتي قديماً، ولم يظهر منه تأفف بمقال الشيخ، ولا تكبر عليه، ولا أعرض عنه بل أحسن لقاءه، وقضى حوائجه، وأجزل عطاءه"^(٧٩).

ولما كان ذات يوم بعد أن خرج الفقراء بعد الطعام، وإذا بضيرير يبكي ويقول: سرقوا مداسي، ما أقدر على ثمن مداس، فقام الوزير من مجلسه ولبس حذاءه، وجاء إلى الضيرير وهو لا يعرف الوزير فخلع الحذاء " وقال للضيرير: البس هذا وابصره على قدر رجلك، فلبسه وقال نعم، لا إله إلا الله كأنه مداسي، ومضى الضيرير، ورجع الوزير إلى مجلسه وهو يقول: سلمت منه أن يقول أنت سرقته^(٨٠).

كان الوزير يرحمه الله مضرب المثل في حلمه وعفوه، وشهامته ونبله وشجاعته وصبره ورباطة جأشه، إذ تسوق المصادر لنا أحداثاً حدثت له، ومواقف صارت معه تدل على ذلك، وأغلب تلك الأحداث مما يدل على عفوه وحلمه حدثت معه قبل توليه الوزارة تعرض فيها للظلم والإهانة منها ما ذكره ابن هبيرة مما رواه عنه ابن الجوزي قال: " لما جلس في الديوان في أول وزارته أحضر رجلان من غلمان الديوان فقال: دخلت يوماً إلى هذا الديوان فقعدت في مكان فجاء هذا فأقامني وقال: قم فليس هذا موضعك، فأكرمه وأعطاه^(٨١).

وحكاية أحد الأتراك يعمل شحنة^(٨٢) في إحدى القرى وأخذ عدداً من مشايخها بسبب قتيل، وكان منهم الوزير حيث ساقهم جميعاً أمام الفرس ونال من الوزير ضرباً وتقريراً، وبعد تولي الوزير الوزارة وجده أمامه في الخدمة فأمر بإعطائه ما لا يوصرفه^(٨٣).

وحكاية الوزير مع أبي محمد الأشتري، وكان من علماء المالكية حكاية تدل على حلم الوزير وأدبه وعفوه وحسن خلقه ورجوعه إلى الحق على الرغم من خطأ هذا الفقيه المالكي وتعتته وتعصبه لمذهبه بدون دليل، وكان هذا الفقيه المالكي يحضر مجلس الوزير العلمي، ووردت مسألة ذكر الوزير ومن معه بالمجالس أن الإمام أحمد تفرد بها، وخالف ذلك المالكي وقال: إن الإمام مالك تفرد بها

وبدرت من الوزير كلمة غير لائقة في حق المالكي ، وفي اليوم التالي قال الوزير للجماعة: " جرى مني الأمل ما لا يليق بالأدب حتى قلت له تلك الكلمة فليقل لي كما قلت له فما أنا إلا كأحدكم، فضج المجلس بالبكاء وأخذ ذلك الفقيه يعتذر ويقول أنا أولى بالاعتذار، والوزير يقول القصاص القصاص^(٨٤).

إن المواقف السياسية والحربية التي عصفت بالعراق على أيام الوزير^(٨٥)، تؤكد شجاعته وقوة نفسه ورباطة جأشه وثباته في الأمور، وتذكر المصادر العديد من الحوادث الأخرى الدالة على ذلك وهي كثيرة وسنقتصر على ذكر أحدها مما ذكره ابن المارستانية في سيرة الوزير قال: " كنا يوماً عنده والمجلس غاص بولاية الدين والدينيا، والأعيان والأمثال، وابن شافع يقرأ عليه الحديث، إذ فجأنا من باب الستر وراء ظهر الوزير صراخ بشع وصياح يرتفع، فاضطرب له المجلس، وارتاع الحاضرون، والوزير ساكن ساكت، حتى أنهى ابن شافع قراءة الإسناد ومتمته، ثم أشار الوزير إلى الجماعة على رسلهم، ثم قام ودخل الستر ولم يلبث أن خرج، فجلس وتقدم بالقراءة، فدعا له ابن شافع والحاضرون، وقالوا: قد أزعجنا ذلك الصياح، فإن رأى مولانا أن يعرفنا سببه فقال الوزير: حتى ينتهي المجلس، وعاد ابن شافع إلى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال، فعاودوه، فقال : كان لي ابن صغير مات حين سمعتم الصياح، ولو لا تعين الأمر علي بالأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذلك الصياح لما قمت عن مجلس رسول الله ﷺ، فعجب الحاضرون من صبره^(٨٦).

إن هذه الصفات الجليلة والأخلاق الحميدة والمزايا النفيسة، التي اجتمعت في شخصية الوزير ابن هبيرة كان لها وقع شديد في نفوس عامة الناس والمخلصين الأتقياء من خاصتهم، فقد أحبوه وكانوا يكثرون من الدعاء له، ويتمنون طول أيامه، ذكر ابن المارستانية قصصاً عجيبة لمنامات رواها بعض

الصالحين في حق الوزير ابن هبيرة ثم قال : ولو استقصيت ما ذكر له من
المنامات الصالحة لجاءت بمفردها كتاباً ضخماً^(٨٧).

ولم يعرف عن الوزير بأنه كان يغدق العطايا للشعراء، ومع ذلك يقول العماد
الأصبهاني: " ورزق من الشعر والشعراء ما لم يرزق أحد "^(٨٨) وقال: " سمعت
صاحب الخبر ابن المهدي يقول يوماً له : قد جمعت من القصائد التي مُدحت
بها ما يزيد على متي ألف بيت، وكان كل سنة يحمل منها مجلداً، فلما توفي
الوزير، وبيعت كتبه، اشترى الشريف ابن المهدي ما كان جمعه من خزانة
الوزير، وسمعت أنها أخذت منه وغُسلت "^(٨٩).

وذلك الشعر الذي رزق به الوزير مدحاً وثناءً كان من قصائد أفاضل
شعراء عصره، منهم حيص بيص (ت ٥٧٤هـ / ١١٧٩م)^(٩٠). الذي كتب فيه
مدائح منتخبة منها قوله^(٩١):

يهز حديث الجود ساكن عطفه	كما هز شربَ الحي صبهاء قرقف
ويرسو إذا طاشت حبا القوم واغتدت	صعاب الذرا من زعزع الخطب ترجف
صروم الدنيا هاجر كل سُبّة	ولكنه بالمجد صبّ مكلف
يضيق بأدنى العار ذرعاً وصدره	بأهوال ما يدني من الحمد نفنف
إذا قيل عون الدين يحى تألق	الغمام وماس السمهري المثقف

ومدحه سبط ابن التعاويذي (ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م)^(٩٢) بقصيدة مطلعها :

سقاها الحيا من أربع وطلول	حكّت دنفي من بعدهم ونحولي
ضمنت لها أجفان عين قريحة	من الدمع مدرار الشؤون همول
إلى كم تمنيني الليالي بما جند	رزين وقار الحلم غير عجول

لقد طال عهدي بالنوال وإنني لصب إلى تقييل كف منيل
وإن ندى يحيى الوزير لكافلٌ بهالي، وعون الدين خير كفيل
وأجاد الأبله البغدادي (ت ٥٧٩هـ / ١١٨٣م)^(٩٣)، وأبدع في مدحه بالعديد
من القصائد، أفضلها والتي خصصها لبيان خلال ومزايا الوزير ابن هبيرة وهي
التي يقول في مطلعها^(٩٤):

ولع النسيم وبانه الجرعا وصفاك إلا الحلّى والودعا
يا دمية ضاقت خلاخلها عنها وضقت بحبها ذرعاً
قد كنت ذا دمع وذا جلد فبقيت لا جلدأ ولا دمعاً
سلت عليه البارقات ظباً لبس الغدير لخوفها درعا
طبعاً جبلت على الغرام كما جبل الوزير على الندى طبعاً
ومزايا الوزير ومناقبه (رحمه الله) كثيرة جداً، وقد مدحه الكثير من الشعراء
غير هؤلاء فأكثرُوا وتغنوا.

أما مراثيه فقد بكاه ورثاه جماعة من الشعراء تقتصر على قصيدتين منها
إحداهما للنميري يقول في مطلعها^(٩٥):

ألم على جدث حوى تاج الملوك وقل سلام
واعقر سويداء الضمير فليس يقنعني السوام
وتوقّ إن يُثنى حياءً دمع عينيك أو ملام
إن التماسك والوقار بمن أصبت به حرام
فإذا ارتوت تلك الجنا دل من دموعك والرغام
فأقم صدور العملات فبعد يحيى لا مقام

وأنشد بعض الشعراء يوم موته وقال^(٩٦):

مات يحیی ولم نجد بعد یحیی ملكاً ماجداً به يستعان
وإذا مات من زمان کریم مثل یحیی به يموت الزمان

توفي یحیی (رحمه الله) سنة (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) وكان للمصادر في موته رأي، إذ تؤكد أن موته لم يكن طبيعياً بل كان بتدبير، وقد کُلف أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي بغسله فقال: "ورأيت في وقت غسله آثاراً بوجهه وجسده تدل على أنه مسموم"^(٩٧).

أما من الذي سمّه ودبر أمر موته، أو من هو صاحب المصلحة في ذلك، فالمصادر لم تذكر أحداً ولا اسماً بعينه، على أن الأحداث التي حدثت بعد وفاة الوزير تعطينا يقيناً بأن من تولى الوزارة من بعده وحتى أيام الخليفة المستضيء وهما أبو جعفر أحمد بن محمد البلدي (ت ٥٦٦هـ / ١١٧٠)^(٩٨)، وابن المسلمة محمد بن عبدالله بن هبة الله بن رئيس الرؤساء (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٨م)^(٩٩) كان لهما دور كبير في موت ابن هبيرة وإن تضاربت مصالحهما فالقرائن والعوامل التالية تؤكد ذلك.

* قال ابن الجوزي: "كان الوزير صحيحاً ليس به قلبه... نام ليلة الأحد في عافية فلما كان وقت السحر قاء فحضر طبيب كان يخدمه يقال له ابن رشادة، فسقاه شيئاً فيقال أنه سمه فمات، وسُقي الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سماً فكان يقول سقيت كما سقيت فمات"^(١٠٠).

ويقول ابن المارستانية: أنه قبل وفاته بساعات كان وقد وقع مغشياً عليه فصاح من بالمتزل ثم أفاق، وقيل له: "إن أستاذ الدار ابن رئيس الرؤساء، قد بعث جماعة ليستعلم ما هذا الصباح فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال، وأنشد:

وكم شامت بي عند موتي جاهل بظلم يسلم السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا يناله من الضر بعدي مات قبل مماتي
قلت: وكذا وقع، فإن البلدي الذي تولى الوزارة بعده لم يبق من الأذى لبيت
رئيس الرؤساء ممكناً^(١٠١).

* كان ابن رئيس الرؤساء هو الذي قتل ولدي الوزير يحيى ابن هبيرة وهما
عزالدين محمد وابو البدر ظفر، فسلط عليه من قتله حيث طعنه
أحد الإسماعيلية^(١٠٢).

* وكان ابن البلدي حين تولى الوزارة^(١٠٣) قد لاحق أبناء الوزير وسجنهم
وعذبهم، وصادر ممتلكاتهم حتى اضطر ورثة الوزير ابن هبيرة إلى "بيع ثيابهم
وثياب نسائهم، وبيعت كتب الوزير الموقوفه، وحين تكلم أحد العامة بذلك
أخذ وضرب ضرباً مبرحاً وحبس، وامتنع الناس من الكلام في ذلك"^(١٠٤).

ولم يبق ابن البلدي بعدها حتى قتل شر قتله، ذلك أنه كان ناظراً
بواسط^(١٠٥) وكان ذا كفاءة وحسن إدارة وتدير فدعاه الخليفة المستنجد
واستوزره سنة (٥٦٣هـ / ١١٦٧م)^(١٠٦) ليقف أمام تحكم ابن رئيس الرؤساء
حيث تقدم الخليفة إلى ابن البلدي وأمره بكف يده وأيدي أصحابه وأهله، وفعل
ابن البلدي ذلك، إلا أنه كان أشد ظلماً من ابن رئيس الرؤساء. يقول العمري:
"تحمل بالوزارة إثماً، وابتدع سيرة سودت الصحف والأيام وأعادت ما كان نُسي
من المظالم... قاد الناس بالعنف وحكم بالعسف"^(١٠٧).

ونظراً للعداوة التي استحكمت بينه وبين ابن رئيس الرؤساء فقد اتفق هذا
الأخير مع يزدن التركي (٥٦٨هـ / ١١٧٢)^(١٠٨) وأعد خطة انتهت بأن أخذ ابن
البلدي إلى مكان وقطع قطعاً وألقي في دجلة وأخذ جميع ما في داره^(١٠٩).

❖ لقد كانت ثقة الخليفة المقتفي والخيفة المستنجد كبيرة في ابن هبيرة، الذي انتشل دار الخلافة والوزارة من الضعف والانحلال إلى القوة والمنعة والاستقلال، أحبه الناس، وشعروا بالأمن والقوة، واستنارت الأيام بعده، حتى لم يعد لأحد من المتنفذين وأصحاب المناصب الإدارية المختلفة في دار الخلافة من القدرة أو القوة ما يمكن أن يتوصلوا به إلى تحقيق مطامعهم المالية والإدارية، فكان أن دبوا موته بليل، ونكل بأهله، واعتقل أصحابه والكثير من رجال مجلسه العلمي أمثال الأصبهاني صاحب الخريدة^(١١١)، ومفلح بن علي الأنباري، وكان خاصاً بالوزير عون الدين يصلي به في السفر والحضر، أخذ وحبس بعد وفاة الوزير في حبس الجرائم وعوقب مراراً وأخرج ميتاً بعد سنة من حبسه سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٥م)^(١١٢)، وكذلك شمس المعالي أبو الفضائل محمد بن الحسين بن تركان، كان حاجب الوزير الذي كان يركن إليه وإلى رأيه في الشدائد، ويعتمد عليه في كثير من الأمور فلما توفي الوزير حبس ومات في الحبس بالضرب سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)^(١١٣).

مات ابن هبيرة (رحمه الله) وخلف وراءه دار الخلافة والعراق كأقوى ما تكون منذ قرون، يقول ابن الجوزي عن يوم وفاته: "وحمّلت جنازته يوم الأحد إلى جامع القصر، فصلي عليه ثم حمل إلى مدرسته التي بناها بباب البصرة فدفن بها، وغلت يومئذ أسواق بغداد، وخرج جمع لم نره لمخلوق قط في الأسواق، وعلى السطوح، وشاطئ دجلة، وكثر البكاء عليه لما كان يفعل من البر ويظهره من العدل" (١١٣).

الفصل الثاني: أثره في الحياة الإدارية والسياسية في عصره

تدرجه في مناصب الدولة:

سبق الحديث عن كيفية خروج الوزير ابن هبيرة من بلده الدور ودخوله بغداد، وكيف بدأ حياته بها حيث درس على العلماء وأخذ من العلوم والفنون.

عاش خلال هذه السنوات من عمره في بغداد فقيراً معوزاً وعانى من ذلك كثيراً، واضطر إلى الدخول في الخدمة في دار الخلافة، يقول أيام وزارته: " دخلت يوماً إلى هذا الديوان، فقعدت في مكان، فجاء هذا -أحد الخدام- فقال: قم فليس هذا موضعك، فأقامني^(١١٤).

وبدأ ابن هبيرة في المشاركة في أعمال دار الخلافة كاتباً فكان أول عمله أن عين مشرفاً بالأقرحة الغربية^(١١٥)، ثم نقل إلى الإشراف على الإقامات المخزنية، ثم قلده الخليفة المقتفي الإشراف بالمخزن^(١١٦)، وذكر سبط ابن الجوزي قصة مطولة عن كيفية دخوله إلى دار الخلافة ثم توليه الإشراف على المخزن^(١١٧).

ولم يستمر طويلاً في إشرافه على المخزن حتى قلده الخليفة المقتفي كتابة ديوان الزمام سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م^(١١٨).

ولقد أظهر ابن هبيرة في أعماله تلك أمانة وقدرة وكفاية وصرامة ونصحا، ورأى منه الخليفة المقتفي ما يراه في صولات الوزراء الصادقين المخلصين، وكان مما رأى فيه قوته وصرامته ذلك أنه أثناء توليه لديوان الزمام قدم مجموعة من الأمراء السلاجقة بجيش إلى بغداد، وخرج أهل بغداد لملاقاتهم ودفعهم ولم يفلحوا، وطلب أمراء السلاجقة من الخليفة المقتفي مبلغ ثلاثين ألف دينار ليرحلوا، وشاور الخليفة رجال دولته فأشاروا عليه جميعاً بدفع المال إلا يحيى بن هبيرة فإنه قال: " إن كان لابد من إتلاف هذا المبلغ فالرأي إنفاقه على جيش

يدفعهم، من الترك المطلقة في بغداد وأنواع الناس، ويكون هذا يداً عند السلطان مسعود، ثم لو دُفع لهم ذلك لجعلوا بغداد مخبأة لهم، فقبل الخليفة رأيه وخرج بذلك الجيش إليهم فهزمهم، وكان هذا من الآراء الصائبة والخواطر الثابتة" (١١٩).

وكذلك من المواقف التي تدل على الحنكة والمقدرة السياسية والإدارية لابن هبيرة، أنه أثناء توليه ديوان الزمام حدث من مسعود البلالي وكان شحنة بغداد نيابة عن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه، ما أساء الأدب مع دار الخلافة وما أحدثه أصحابه من فساد في بغداد وخروجه عن المعتاد، وكان وزير الخليفة علي بن صدقة بن علي بن صدقة أرسل عدة كتب إلى السلطان مسعود ليثني شحنته عما يرتكبه من شناعات في بغداد، ولم يفلح الوزير في ذلك، فطلب ابن هبيرة من الخليفة الإذن بمخاطبة السلطان مسعود ووافقه بعد إلحاح، فكتب ابن هبيرة إلى السلطان مسعود رسالة مطولة ومؤثرة، ولم يمض إلا وقت قصير حتى جاء رد السلطان بالاعتذار والذم لمسعود البلالي، وإنكار أعماله "فاستبشر المقتفي بإشارة عون الدين، وعظم سروره بذلك، وحسن موقع عون الدين من قلبه ولم يزل عنده مكيئاً" (١٢٠).

فقد كان لهذه الأحداث وأمثالها أكبر الأثر في ارتقاء مكانة ابن هبيرة لدى دار الخلافة، فما كان من الخليفة إلا أن استدعاه يوم الأربعاء الثالث من ربيع الآخر سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م واستوزره وخلع عليه (١٢١)، وقرىء عهده وبولغ فيه بمدحه والثناء عليه، وخطب بالوزير العالم العادل (١٢٢). قال ابن المارستانية: واستقرت الوزارة في كفؤها وكافيها، فقام فيها قيام من عدله الزمان بثقافه، وزينه الكمال بأوصافه، ودبره بجوده ونهاه، وأورد الأمل فيها مناه، ومد الدين رواقه، وأمن بدره به محاقه، فأقام سوق الخلافة على ساقها" (١٢٣).

إصلاحاته السياسية والإدارية:

كان للمخطط الذي أزمع عليه الوزير ابن هبيرة مع الخليفة المقتفي والخليفة المستنجد، والذي كان يرمي إلى إقامة خلافة ودولة قوية ثم استئصال السلاجقة من العراق، كان لابد أن يقوم ذلك التخطيط على عزيمة قوية، وصدق وأمانة وجدية، ورغبة كاملة في العمل والإصلاح. ولذلك فقد كان ابن هبيرة يجتمع مع المقتفي بين الحين والآخر يفاوضه ويراجعه ويناقش معه الكثير من الأمور هدفها تقرير قواعد الدين والنظر في مصالح المسلمين^(١٢٤)، وعندما تولى الخليفة المستنجد الخلافة كان يعرف ما عليه ابن هبيرة من صلاح وعزيمة صادقة لإصلاح أحوال الناس وأمور الدولة فشد على عضد ابن هبيرة وعاهده على ذلك وعلى بقاءه في الوزارة إلى الموت^(١٢٥).

وهنا كان لابد له بداية من وضع القواعد والشروط اللازمة، التي تكفل له نجاح ما كان يرمي إليه من الخليفة في إصلاح دار الخلافة، واستعادة قوتها وهبتها في الداخل والخارج، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بعد تحقيق مسألتين مهمتين لا يمكن فصل أحدهما عن الأخرى وهما:

١- إصلاح الأمور الداخلية في دار الخلافة ومؤسسات الدولة في جميع أنحاء العراق.

٢- لابد من الحكمة والجدية في اتخاذ القرار الصحيح فيما يخص العلاقات الخارجية كالعلاقة مع السلاجقة، وأمثالهم من المجاورين.

أما بالنسبة للمسألة الأولى فقد اتخذ ابن هبيرة حيالها العديد من الإصلاحات وهي على النحو الآتي:

* ضرورة قيام دار الخلافة والوزارة بإقامة العدل بين الناس وإعطاء الحقوق والحكم بالرفقة والشفقة، وسبق أن ذكرنا ما كان يتمتع به ابن هبيرة من عدل واستقامة وصلاح في وزارته وكان يذكر المستنجد دائماً بذلك " وكان يكتب إليه أوراقاً تدل على شفقه على الدولة لتجري أمورها على السداد، وكان فيما كتب إليه: يا أمير المؤمنين الله الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، احفظ محمداً في أمته، وأقم ناموس الخلافة " (١٢٦).

* لقد كان الوزير ابن هبيرة ذا رأي وثبات في الأمور^(١٢٧) فكان يعمل جاهداً على المحافظة على أموال الدولة، وضرورة صرفها على عملية الإصلاح وعلى تجهيز الجيش، وما سبق ذكره في صفاته في هذه الناحية يكفي، إضافة إلى بيان موقفه القوي وبصيرته الثاقبة عندما طلب السلاجقة من الخليفة مبلغ ثلاثين ألف دينار لفك حصار بغداد فكانت مقولته التي أعجب بها الخليفة كثيراً^(١٢٨).

* قال ابن الجوزي: " وكان الوزير مبالغاً في تحصيل التعظيم للدولة قامعاً للمخالفين بأنواع الحيل " (١٢٩)، ويقول الذهبي: إن ابن هبيرة كان " ذا رأي صائب، وسريرة صالحة، وظهرت منه كفاية تامة، وقيام بأعباء الملك، حتى شكره الخاص والعام " (١٣٠). فلقد عمل ابن هبيرة بكل أمانة وإخلاص في مؤسسات الدولة عندما كان مشرفاً على المخزن وعلى ديوان الزمام، واكتسب خبرة وافرة واطلع على أمور الخلافة ومؤسساتها عن كثب وتعرف على جوانب القوة والضعف فيها، ولذلك نراه عندما تولى الوزارة أزمع على انتشال دار الخلافة والمؤسسات الإدارية المختلفة في الدولة من حالة الضعف والضياع تلك، وبما قد وقعت فيه من فساد إداري وتنظيمي، وأخذ يضرب على أيدي

مروجي الفساد من أصحاب المصالح الذاتية، وأولئك المتنفذين في مؤسسات الدولة الذين يهمهم أن تبقى الإدارة في حالة من الفوضى والاضطراب ليتسنى لهم الوصول إلى مطامعهم وأهدافهم، فنجد أنه عندما تولى الخليفة المستنجد الخلافة أشار عليه بالعديد من الإصلاحات الإدارية وإقامة العدل بين الناس، فأمر الخليفة برد الأموال التي كان ابن المرخم قد اغتصبها من الناس بالقوة والرشوة، ذلك أن ابن المرخم هذا كان قاضياً ظالماً مرتشياً، فقبض عليه سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م واستصفت أمواله وأعيد منها ما كان اغتصبه من الناس، وذلك بعد أن ضرب ضرباً مبرحاً ثم سجن، واعترف ابنه بما كان قد اختلسه وأخذ من أموال المسلمين^(١٣١)، وكذلك عزل قاضي القضاة أبو الحسن على بن أحمد الدامغاني لشبهة كانت به^(١٣٢)، وقبض على ابن الفقيه سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م وكان نائباً بالمخزن لعدم ثقة الدولة به^(١٣٣)، كما رفعت يد علاء الدين ابن الزينبي عن الحسبة لعدم قدرته على ضبط أمورها^(١٣٤)، كما قبض على صاحب الديوان سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م ابن جعفر لعدم صلاحيته في الإدارة والعمل ووكّل عمله إلى ابن حمدون^(١٣٥).

لقد كان ابن هيرة مكسباً كبيراً لدار الخلافة العباسية، لقد وفق الخليفة في استيزاره إلى حد أن شكر أيامه عامة الناس وخاصتهم، إن عدله وحنكته الإدارية والسياسية وتصميمه على إصلاح أمور الدولة وأمور الناس كان ذلك من أهم أسباب نجاحه، فلم يكن يولي أي مؤسسة من مؤسسات دار الخلافة لأحد إلا بعد أن يستوثق دينه وأمانته وصلاحيته مع متابعته ومساءلته، فالمناصب الإدارية السابقة جعل عليها من توسم فيهم الخير والعدل والصلاح، فقد ولي العماد الأصبهاني على واسط نيابة عنه^(١٣٦)، وكان يجمع في مجلسه أهل

التقوى والعلماء ليستأنس بآرائهم في تسيير أحوال المسلمين^(١٣٧)، فكانت أيامه توجه جاد وسليم للإصلاح. يقول ابن المارستانيه عن وزارته: " أقام سوق الخلافة على ساقها، وابتدع في انتظام ممالكها واتساقها، وتبع ما أفسدته العين منها بالإصلاح، وداوى كل حال بدوائه، وافترض العدل سمعاً لله وطاعته، ورد غائر الماء إلى لجائه"^(١٣٨)، فكان خير معين للخليفة المقتفي الذي كان أول من حكم العراق من الخلفاء منفرداً عن سيطرة المتغلبين منذ أيام الديلم^(١٣٩)، وأول خليفة تمكن من الإمساك بالخلافة والسيطرة على جيش قوي منذ أيام الخليفة المنتصر بن المتوكل^(١٤٠) (٢٤٨هـ / ٨٦٢م)، أما الخليفة المستنجد فيقول عنه ابن الأثير: " وكان شديداً على أهل العبث والفساد والسعاية بالناس"^(١٤١)، وسجن الكثير من المتنفذين الذين كانوا يظلمون الناس ويأخذون حقوقهم^(١٤٢).

وكان من ضمن الإصلاحات الإدارية والاقتصادية التي أشرف الوزير ابن هبيرة على تنفيذها بعدما أشار على الخليفة المستنجد بتقريرها، هو إزالة المكوس والضرائب، وما كان يفرض منها على سوق الخيل والجمال والغنم والسمك والمدابغ في جميع أنحاء العراق مدنه وقراه^(١٤٣)، وجمع الخليفة كل ما كان بأيدي السلاطين السلاجقة، وما أخذوه على مر السنين واستصفاه وجعله في بيت مال المسلمين " وذلك بإشارة وزيره ووزير أبيه يحيى ابن هبيرة"^(١٤٤).

وداوم الوزير على أعماله تلك حتى تحسنت أحوال الناس الاقتصادية، ورخصت الأسعار إذ يقول ابن الجوزي أثناء حديثه عن أحداث سنة ٥٥٦هـ / ١١٦١م: " وفي هذه الأيام رخص السعر، فبيع اللحم أربعة أرطال بقرط، وكثر البيض فبيع مائة بيضة بقرط، والعسل كل من بطسوج، والخوخ كل عشرة أرطال بحبة ونصف"^(١٤٥).

لقد أصبح الجيش الذي تكون لدار الخلافة عندما حضر الأمراء السلاجقة بغداد، وذلك باقتراح من ابن هبيرة عندما كان مشرفاً على ديوان الزمام، أصبح يمثل النواة الأولى لإعداد جيش منظم ومدرّب لديه كامل العدة والعتاد والأسلحة يقول ابن ظافر: "وكانت ساعة وزارته مباركة على الدولة منذ أنشأ هذا العسكر، لم يزل يذاب هو والخليفة حتى استخلصا العراق وجمع أعماله من أيدي السلجوقية" ^(١٤٦) فقد استطاعت دار الخلافة في فترة وجيزة وبسبب جهود الوزير من إعداد جيش مدرّب ومنظم لأن ذلك ضرورة مهمة لعملية الإصلاح، والقضاء على الاضطرابات المختلفة وتوحيد أطراف العراق، وللمحافظة على الإنجازات التي تم تنفيذها من الاعتداءات الخارجية، ذلك أنه كان للتجربة التي مرت بالخليفة والوزير بعد حصار السلطان مسعود للعراق ثم وفاته، ونفي مسعود البلالي من بغداد، كان لها أثر كبير في ضرورة تقوية الجيش وإعداد الذخائر وادخار العدد، والاستظهار بشغل صناعة السلاح، وإحضار الألوف من حجارة المنجنيق بواسطة السفن، وأمر ببناء المراكب المقاتلة والسفن ^(١٤٧)، وفعلاً كان لقوة الجيش أثر فعال كما سنلاحظ في الفقرتين القادمتين. وقد أثنى الأصبهاني وامتدح قدرة هذا الجيش بعد اكتماله واستعداده لصد حصار بغداد من قبل السلاجقة، إذ يقول من قصيدة طويلة ^(١٤٨):

لله جيش للخليفة قاده	ربُّ الخليفة بالميامين والظفر
مجرُّ إذا جر القنا لا يرتضي	وجه المجرة أن يكون لها مجر
فوق الجياد الجرد ماوردت وغى	إلا وخيل عدوها عنها صدر
فالأرض وهي فسيحة ضاقت به	وعلى العدى منه فما وجدوا مفر

* كان هناك العديد من الطامحين ومثيري الفوضى والقلق في أنحاء متعددة من العراق، وكان هؤلاء يتحينون الفرص ويستغلون الظروف حينما تدخل دار الخلافة في حروب مع السلاجقة أو حصار خارجي، أو أي ظروف سياسية أو أمنية أخرى، فيبدأون يساومون دار الخلافة بالحصول على الأموال، أو الإقطاعات للاستفادة منها إدارياً أو اقتصادياً أو الوقوف إلى جانب أعداء دار الخلافة أو إظهار الفوضى والقلق وقطع الطريق، ولقد تصدت دار الخلافة لهؤلاء بكل عنف واستطاع الوزير بمساعدة الخليفة أن يقضي على هؤلاء جميعاً الواحد تلو الآخر.

فالأمرأء من بني أسد الذين كانوا يقطنون الحلة المزيدية كانوا يمثلون تهديداً مستمراً لدار الخلافة العباسية، ولذلك فقد عمد الوزير ابن هبيرة وصمم على القضاء عليهم ففي، سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م خرج في شهر شعبان في جيش إلى الحلة فانهزم الشحنة، وكانت هذه البداية الأولى للقضاء عليهم^(١٤٩)، وفي سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م زاد الاضطراب وكثر الفساد بالحلة فأمر الخليفة المستنجد بإعداد جيش قوي للقضاء عليهم لما أحلوه في الأرجاء من فوضى وفساد، وبسبب مساعدتهم للسلطان محمد عندما حاصر بغداد، فقاتلهم الجيش وحاصرهم، وسد مسالكهم في الماء حتى استسلموا وقتل منهم الآلاف، وفر الباقون وتفرقوا في البلاد، ولم يبق أحدٌ منهم بالعراق^(١٥٠).

وفي سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م بلغ ابن هبيرة الخليفة المستنجد بوجود اضطرابات بواسط، فخرج الخليفة إلى الرقة بمرافقة الوزير ونزل بواسط وطرد شحنتها وعين بدلاً منه، ثم ذهب إلى الحلة والكوفة والبصرة وعين عليها ولاية مقطعين وشحناً متصرفين ثم عاد^(١٥١).

وفي أثناء حصار السلطان محمد بغداد سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م كان الأمير بدر الدين مظفر بن حماد بن أبي الخير صاحب الغرافة وأعمال البطيحة، يلتزم في كل سنة لدار الخلافة بالعديد من الجنود والمؤن، وعندما نزل السلطان على بغداد أرسل بدر الدين إلى الخليفة يساومه على بعض مطالبه، وأشار الوزير ابن هبيرة على الخليفة بالامتناع وقال: ليس هذا وقت الاشتطاط، فأرسل بدر الدين إلى السلطان يعرض عليه خدمته ومساعدته ضد دار الخلافة، ووافق السلطان محمد، وتنبأ الأمير بدرو جمع الجنود من عشائر الغراف والبطيحة وجمع السفن من سائر بلاد العراق وتجمع الجميع بواسطة، ولما بلغ الخليفة الخبر اهتم له وقلق قلقاً شديداً، وكتب إلى بدر الدين بموافقته على ما طلب أولاً، إلا أن بدر الدين رد عليه بمطالب جديدة كان من ضمنها أن طلب منه أن يسلمه الوزير ابن هبيرة لتدبير أمره، وهنا كان لابد من سرعة التصرف واللجوء إلى الدهاء والخذعة، فأرسل الخليفة إلى بعض رجال السلطان يعدهم ويمنيهم وأرسل إليهم المال ليشتككوا السلطان في صدق بدر الدين، وأنه من أمراء الخليفة وولي نعمته وأنه من العرب فلا يؤمن أن يكون بينه وبين الخليفة تدبير، وأقنعوه ألا يسير إليهم عن طريق بغداد بل عن طريق نهر صرصر، وكان ذلك هو هدف الخليفة والوزير ليؤمن بغداد وأهلها من شره، وهنا تجرد جيش الخليفة للحرب وحوصرت السفن وأحرقت بالنار^(١٥٢).

وفي سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م هاجم بنو خفاجة من العرب الحلة والكوفة وكانتا تبعاً لدار الخلافة، وأفسدوا في المدينتين ونهبوها فخرج إليهم صاحب الحلة وصاحب الكوفة، وهرب بنو خفاجة وطلبوا الاعتذار فلم يُستجاب لعذرهم، فتجمعوا ولحق بهم الكثير من العرب وهاجموا العسكر وألحقوا بهم

هزيمة منكرة وقتل صاحب الحلة، وجرح صاحب الكوفة جراحاً بليغة، وعندما وصل خبرهم إلى بغداد جهز الوزير عون الدين جيشاً وخرج في طلب بني خفاجة التي هربت إلى البر، وأرسلوا إلى الوزير يعتذرون بما أصابهم من ظلم وقطع الأرزاق، فاصطلح معهم الوزير وعاد إلى بغداد^(١٥٣).

* كان لهذه الجهود التي بذلها الوزير ابن هبيرة في أجهزة الدولة كالقضاء على الفساد الإداري، ومهاجمة القوى المختلفة داخل العراق والتي كانت تثير القلاقل والاضطرابات وتهدد أمن الناس في المدن، وتثير المتاعب المتلاحقة لدار الخلافة في كل وقت، أقول أن تلك الجهود كان لها أكبر الأثر في شعور عامة المجتمع في كافة أنحاء العراق بالأمن والأمان، بعد عقود خلت كانت لا تخلو سنة من سنينها من الاضطرابات والخصومات لأجل ضياع الحقوق وفساد الإدارات في بغداد وبقية المدن، ولأجل الصراعات المذهبية، وأثر ذلك كله على سير الحياة الاقتصادية بشكل كفل للناس حياة كريمة وتوافر في الأرزاق والأقوات، وكان قد استغل دوامة الفوضى تلك الكثير من المتسلقين سواء في أجهزة الدولة ومؤسساتها، أم أولئك الذين لا يهمهم إلا مصلحتهم الشخصية وجلب المال بأي وجه من كبار التجار أو أصحاب الإقطاعيات، وذلك بحكم علاقة المنفعة التي كانت تربطهم بأولئك الآخرين المفسدين المتنفذين في أجهزة الدولة، والذين كانوا يهيئون كامل السبل للعبث في أنظمة الدولة لمن يدفع المال.

إن أعمالاً من هذا النوع، مع قلة الأمن، وعدم الانضباط في حياة المجتمع، وأعمال الشطارة والعيارة^(١٥٤) والخلافات المذهبية، بدأت تزول إن لم تنته بشكل كبير في حياة المجتمع العراقي في عهد وزارة ابن هبيرة، ذلك أنه أصبح لدار

الخلافة هبة وقوة في نفوس الناس بسبب شعورهم بصدقها وجديتها في عملية الإصلاح والضرب على أيدي المفسدين، فالعقلاء من الناس وأهل الفكر والعلم، وأولئك الذين لحقت بهم المظالم وسوء الحياة لا بد أنهم أيدوا دار الخلافة في مسعاها، وأولئك الذين اعتادوا الفساد وانتفعوا من ورائه خشوا نقمة دار الخلافة وعقابها^(١٥٥) فمنهم من ضرب وصودرت أمواله وسجن وأصبح بذلك عبرة للبقية الباقية، ومنهم من هرب من العراق.

أما بالنسبة للمسألة الثانية وهي العلاقات الخارجية من أحداث وحروب وكيفية التعامل معها، ففي هذه المسألة كان لابن هبيرة أثر رائد وعظيم، كان ديدنه في التعامل معها مبني على القوة والحزم، والحنكة والدهاء والخديعة، والثبات في الأمور^(١٥٦)، لقد تعامل مع كل المواقف والحروب والأحداث المختلفة بكل حزم وجدية واقتدار، وكان في كل مرة يتبع الوسائل كافة للقضاء على الخصوم وعلى المتسلطين على العراق، في سبيل المحافظة على ما كانت ترمي إليه دار الخلافة، وما توصلت إليه من نتائج مفيدة في تطوير وتنظيم مؤسسات الدولة، وفي المحافظة على أمن الناس واستقرار أحوالهم.

إن جل المؤرخين الذين تناولوا شخصية الوزير، أو تحدثوا عن أحداث العراق وحروبه الخارجية في هذه الفترة، جميعهم يثني على أهمية الدور الذي قام به الوزير إزاء الأحداث كافة. يقول ابن الجوزي: "وكان الوزير مبالغاً في تحصيل التعظيم للدولة، قامعاً للمخالفين بأنواع الحيل التي حتى حسم أمور السلاطين السلجوقية"^(١٥٧). وقال ابن كثير: "وكان يبالي في إقامة الدولة العباسية، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن"^(١٥٨)، وقال أبو شامة: "وهو الذي محارم سلاطين العجم من العراق وأجلاهم عن خطتها بحسن تدبيره"^(١٥٩).

ونستطيع أن نجمل أثره فيما يخص هذه المسألة في النقاط التالية:

* كان شديد الحرص على ديار المسلمين، وذلك للوقوف في وجه الاعتداءات الخارجية من أعداء المسلمين كالصليبيين وأمثالهم، وعلى الرغم من ضعف دار الخلافة، والاضطرابات الداخلية، والاعتداءات الخارجية وشدة الانشغال وعدم التفرج في فترة الوزير، فإنه كان يكاتب السلطان المجاهد المؤزر العادل نور الدين محمود زنكي (رحمه الله) (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م) ويستحثه على انتزاع مصر من يد العبيدين " فسير إليها أسد الدين شيركوه مرتين، وفي الثالثة خطب بها للمستنجد، وجاء الخبر بذلك إلى بغداد سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م " (١٦٠) فعمل أبو الفضائل بن ترکان حاجب الوزير ابن هبيرة قصيدة قال فيها (١٦١):

لعل حداة العيس أن يتوقفوا ليشفي غليلاً بالمدماع مدنف
ليهنك يا مولى الأنام بشارة بها سيف دين الله بالحق مرهف
بعثت إلى شرق البلاد وغربها بعوثاً من الآراء تحيي وتلف

* لقد كان لاسترداد مصر والذي تم نهائياً بعد وفاة الوزير بخمس سنوات، أكبر الأثر في توحيد التوجه السياسي للعراق والشام ومصر، وهنا فعلاً كان الأثر الفعال في نهاية الوجود الصليبي في بلاد المسلمين.

* ضعف الوجود السلجوقي بالعراق بعد وفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م إذ كان من السلاطين العقلاء (١٦٢)؛ على أن أصحابه ومستخدميه ببغداد كانوا يمارسون تصرفات فاسدة مشينة، وكان المقتضي ينهائهم فلا ينتهون (١٦٣)، ومنيت دار الخلافة والناس عامة ولاسيما في هذه الفترة الأخيرة بجور هؤلاء الأعاجم، وكان أهون ما عندهم هو عناد الخليفة، هذا عدا مطالبهم التي

لا تنتهي، وما يرتكبونه من أعمال شنيعة في حق عامة الناس^(١٦٤).

وهنا عزم الخليفة ووزيرة ابن هبيرة على اجتثاثهم من بلاد العراق، ولما علم مسعود البلالي - وكان شحنة بغداد - بموت السلطان مسعود هرب منها وتوجه إلى الحلة " واستظهر الخليفة المقتفي لأمر الله على داره، ودور أصحاب السلطان ببغداد، وأخذ كل ماله فيها، وكل من كان عنده وديعة لأحدهم منهم أحضرها بالديوان، وجمع الخليفة الرجال والعساكر، وتقدم بإراقة الخمر من مساكن أصحاب السلطان " ^(١٦٥).

ثم خرج الوزير ابن هبيرة على رأس جيش عندما علم بعزم مسعود البلالي على مهاجمة بغداد، والتقى به في الحلة وهزمه وطرده إلى همدان^(١٦٦).

* وبعد هذه التجربة القاسية، أيقنت دار الخلافة بأهمية التنظيم وإعداد جيش قوي، فعين الأمراء الأقوياء على مدن العراق وأقطع الإقطاعات في الكوفة والبصرة وواسط وحلوان وتكريت وعبدان والحلة، وأقطع الخليفة لوزيره عون الدين كل ما كان للسلاجقة في العراق، وطلب منه التهيؤ والاستعداد ونعته بتاج الملوك فلك الجيوش^(١٦٧).

وبدأ ابن هبيرة في العمل فأعد الجيش " وأحكم أسوار بغداد، وحفر خندقها، ورتب الولاة في الولايات، وبعث العيون وأصحاب الأخبار، وبعث الجواسيس إلى جميع الأمصار^(١٦٨).

وكان مسعود البلالي يحاول مع السلطان محمد السلجوقي ويؤله على مهاجمة بغداد، وكان السلطان يرجع إلى عقل ودين، ويخشى مخالفة الخليفة، وعندها خرج مسعود البلالي لوحده من ديوان السلطان إلى تكريت وجمع جيشاً من التركمان إضافة إلى جيش البقش - أحد أمراء السلطان مسعود - وسار في عسكر

كثيف يزيد على ثلاثين ألفاً^(١٦٩)، ونهبوا البلاد^(١٧٠)، وعندما علم الخليفة بذلك أمر وزيره عون الدين بن هبيرة بالاستعداد والاستكثار من آلات الحرب، وخرج ابن هبيرة على رأس الجيش سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م^(١٧١)، والتقى الجيشان وانهزمت ميمنة عسكر الخليفة وبعض القلب حتى بلغت الهزيمة بغداد ونهبت خزائنه^(١٧٢)، وعندما حمل الوزير ابن هبيرة والأمير منكوبرس على قلب جيش البقش انهزموا، وتبعهم عسكر الوزير يقتلونهم ويأسرونهم حتى أتوا على أكثرهم قتلاً وأسراً، وحاز عسكر الوزير على أصناف الغنائم، ورجع الجيش مظفراً، وخلص العراق من عبث وفساد مسعود البلالي^(١٧٣)، وسمى ابن الأثير بهذه المعركة بوقعة بكمزا^(١٧٤).

وفي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م^(١٧٥) تعرضت بغداد والعراق لخطر كبير فقد أقبل السلطان محمد إلى العراق من همذان قاصداً بغداد ومعه جيش قوي من أذربيجان، وبعض أطراف العراق مثل أتابك الموصل قطب الدين، وارعش صاحب البصرة، وأهل الكرخ من أهل بغداد^(١٧٦).

وكان من حزم الخليفة وابن هبيرة بعد وفاة السلطان مسعود، وحريهم مع مسعود البلالي وطرده من العراق، أن أعاد العدة والذخائر، وبنيت السفن استعداداً لأي هجوم على العراق^(١٧٧)، واضطربت الناس في بغداد واهتم الخليفة والوزير لذلك الأمر ولاسيما أن بعض أمراء مدن العراق انضموا إلى جيش السلطان محمد، فأرسل الخليفة والوزير يطلبان العساكر من الأنحاء، وأعلن ألا يقيم أحداً في الجانب الغربي من بغداد، واجفل الناس وأهل السواد ونقلت الأموال إلى دار الخلافة^(١٧٨).

وكان مطلب السلطان محمد من الخليفة أن يذكر اسمه على المنابر تلو اسم أمير المؤمنين، ولم يجبه الخليفة إلى مطلبه، وطلب منه أن يعود إلى همذان إلى أن

يتدبر أمره^(١٧٩)، ورفض السلطان وهاجم بعض البلدان ونهبها مثل أوانا، وفرق الخليفة السلاح على الجند وعامة الناس، ونصبت العرادات والمجانيق^(١٨٠)، وبدأت المناوشات فهاجم عامة بغداد جيش السلطان عند الرقة ورموهم بالنفط، وجرت عدة معارك بينهم لم تنته إلى شيء، واشتد الحصار على أهل بغداد بعد أن اجتمع جيش السلطان وأعوانه كافة وعسكروا حول بغداد.

وهنا لجأ الوزير ابن هبيرة بسبب قوة الجيش وشدة الحصار إلى الدهاء والحنكة السياسية، فرتب ثلاثة أمور كان لها أكبر الأثر في إحباط هذه المؤامرة وقد أعجب بها ابن الأثير كثيراً فقال: "وقام وزيره عون الدين بن هبيرة في هذا الأمر، المقام الذي يعجز عنه غيره^(١٨١)".

وهذه الأمور هي :

١ - لجوئه إلى تشجيع العامة في بغداد، حيث أمر الخليفة أن ينادي: كل من جرح فله الدنانير، فكان كلما جرح إنسان حضر عند الوزير وأعطاه خمسة دنانير، فأبلى العامة بلاءً حسناً في الدفاع عن بغداد^(١٨٢).

٢ - كان ابن هبيرة يرأسل وباستمرار الأمراء السلطانية سراً، ويرسل إليهم الهدايا والأموال، ويطلب منهم النصح لأمر المؤمنين، وطاعته إلى أن يقول: "وبعد فإن أمير المؤمنين لا يزال يواصلكم بإحسانه، ويمدكم ببره وامتنانه"^(١٨٣)، ولم تزل تلك الرسائل والأموال والمنح مستمرة، حتى أثرت في الأمراء، فكان كلما هم السلطان بأمر يصل به إلى مراده أشاروا عليه بمشورة ظاهرها النصح وباطنها الغل، وكانت أخبار جيش السلطان تصل إلى الوزير كل يوم، فبعد العدة ويعمل بناءً على تلك الأخبار^(١٨٤)، وكان لهذه المراسلات أثر عظيم في عملية الاستعداد وكشف خطط جيش السلطان محمد.

٣ - قام الوزير ابن هبيرة بمواصلة الرسائل إلى شمس الدين ايلدكز في أذربيجان، والملك أسلان شاه، وأطمعها بالأموال والإقطاعات في أعمال العراق إن هاجما همذان مقر ملك السلطان محمد، وفعلاً تم ذلك وقت الخبر في عضد عسكر السلطان وتضعض ثباتهم بهذا الخبر^(١٨٥)، وشاور السلطان محمد الأمراء في ذلك فأشار الجميع بضرورة الرحيل للدفاع عن همذان، وبدأت الجيوش في الرحيل عن حصار بغداد عاجزين عن حمل أنقلاهم^(١٨٦) وعندما شاهد أهل بغداد اختلافهم واختلاهم هاجموهم ونهبوهم، ودخلوا دار السلطان ونهبوا ما فيها من الأموال والمتاع^(١٨٧)، وخرجت جميع الجيوش هاربة من بغداد، وانقطعت بعد هذه المعركة أطماع السلاطين السلجوقية في بغداد والعراق نهائياً^(١٨٨). وأصبح العراق بعد هذه السنة في يد الخلفاء بلا منازع.

* وكان لهذه الحروب مع السلاجقة أكبر المعاناة على دار الخلافة وعلى أهل بغداد، فكانت تصيبهم الأمراض الشديدة الحادة، والأوبئة، والموت ولاسيما في هذه المعركة الأخيرة^(١٨٩)، ولذلك فإنه في سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م لما أرسل ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه من أصفهان إلى بغداد طلب من الخليفة قطع الخطبة باسم عمه سليمان شاه، وأن يجعلوا الخطبة باسمه " وأن يعيدوا القواعد بالعراق إلى ما كانت أولاً"^(١٩٠).

لقد بدأ ذلك تهديداً خطيراً طالما عانت منه دار الخلافة وأهل العراق، لذلك لجأ ابن هبيرة إلى المكيدة والدهاء، فأرسل خصياً كان خصيصاً به، ومضى إلى بلاد العجم، واشترى جارية من همذان وباعها إلى ملكشاه ووعداها أموراً عظيمة وخيراً كثيراً إذا سمته، وفعلاً سمته في لحم مشوى فأصبح ميتاً، وهرب الخصي وعاد إلى بغداد^(١٩١).

الفصل الثالث: أثره في تنشيط الحركة العلمية في عصره

مشاركته في علوم عصره :

سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى كيفية حصول ابن هبيرة على العلم في بغداد وكيف تلقى مجموعة من العلوم على يد كبار أساتذة العصر من قرآن، وقراءات، وحديث، وفقه، وأصول، ولقد أتقن هذه العلوم الدينية إلى حد كبير ولاسيما الحديث والفقه، ولم يقتصر على هذه العلوم الدينية بل " كانت له معرفة حسنة بالنحو، واللغة، والعروض، وصنف في تلك العلوم " (١٩٢).

فلقد شارك ابن هبيرة في علوم عصره وأخذ من كل فن طرفاً قال الذهبي: " وشارك في علوم الإسلام، ومهر في اللغة، وكان يعرف المذهب، والعربية والعروض " (١٩٣).

وعلى الرغم من المسؤوليات السياسية والإدارية الجسيمة التي كلف بها خلال ربع قرن من الزمان أشغلته كثيراً عن ممارسة العلم والدرس، إلا أن جميع المصادر التي تناولت شخصيته أكدت أنه من فقهاء عصره المعدودين (١٩٤)، ومن رجال الحديث البارزين، ومن أدبائه المشاركين قال ابن المستوفى: " كان له معرفة بمختلف العلوم " (١٩٥)، وقال العماد الأصبهاني: " كان غزير العلم مفوهاً " (١٩٦)، وأثنى عليه ابن واصل وقال: إنه كان من العلماء المحبين لأهل العلم (١٩٧)، وقال ابن رجب: " وكان الوزير (رحمه الله) أديباً بارعاً، فصيحاً مفوهاً، وقد أورد له مصنف سيرته، من رسائله إلى الخلفاء والملوك، والكتب التي أنشأها بأفصح العبارات وأجزل الألفاظ ما لا يتسع هذا المكان لذكره " (١٩٨) وقال أبو شامة: " كان عالماً ديناً حنبلي المذهب " (١٩٩) وكان له (رحمه الله) من الكلام الحسن، والأقوال الحكيمة، والاستنباطات الدقيقة، والفوائد المستحسنة

ما يدل على سعة علمه، وموسوعيته، وتفننه في علوم الدين والعلوم الأخرى ومن هذه الأقوال (٢٠٠):

يحصل العلم بثلاثة أشياء:

أحدها: العمل به فإن من كلف نفسه التكلم بالعربية، دعاه ذلك إلى حفظ النحو، ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع تعلم.

والثاني: التعليم، فإنه إذا علّم الناس كان أدعى إلى تعليمه.

والثالث: التصنيف، فإنه يخرج به إلى البحث، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذي صنف فيه.

"وقال لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الاسلام، وأولى الأمور ستر العيوب" (٢٠١). وقال: "الأيام قد ذهبت، والأعمار قد نُهبت، والنفوس باتباع الهوى قد التهبت، وما يطلب منها شيء من الخير إلا أبت، وبيوت التقوى من القلوب قد خربت".

وقال: "نظر العامل إلى عمله بعين الثقة به في باب النجاة، أضر على العصاة من تفريطهم".

وقال: "لولا الظلم الجائر ما حصلت الشهادة للشهيد، ولولا أهل المعاصي، ما بانَت بلوى العباد في الأمر بالمعروف، ولو كان المجرمون ضعفاء لقهروا فلم يحصل ذلك المعنى".

وقال: "من مكاييد الشيطان: تنفيره عباد الله من تدبر القرآن، لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعاً".

وقال: احذر مصارع العقول، عند التهايب الشهوات".

وفي عصره كان هناك صراع مذهبي شديد بين أصحاب المذاهب الأربعة، وسرى ذلك التعصب حتى نال الحياة العامة للناس، فخصصت مساجد لأصحاب المذهب الواحد لا يصلي فيها إلا المتمين إليه، وكذلك خصصت مدارس يشترط في كل شيوخها ومعلميها وطلابها وجميع العاملين فيها أن يكونوا على مذهب معين، ولقد كثرت هذه المساجد وتلك المدارس في بغداد ومدن العراق الأخرى إلى حد كبير، وأشغلت هذه القضية بال ابن هبيرة وما لها من تأثير على ممارسات أصحاب المذاهب، وحتى على عامة الناس وما تثيره من خصامات واضطرابات فكانت موضوع حديثه في كل وقت وتكلم عنها وقال:

"إن اختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة محدثة، فلا يُقال هذه مساجد أصحاب أحمد، فيمنع منها أصحاب الشافعي، ولا بالعكس فإن هذا من البدع ... وأما المدارس فقال: لا ينبغي أن يضيق في الاشتراط على المسلمين فيها، فإن المسلمين فيها أخوه ... فينبغي أن يكون في اشتراطها ما يقع لعباد الله، فإني امتنعت من دخول مدرسة شرط فيها شروط لم أجدها عندي" (٢٠٢).

ومن أقواله الحكيمة قوله: "لولا عموم فقراء الناس ما استغنوا، فإن الإنسان لما افتقر احتال، فسافر لجلب الثياب والمطاعم والأدوية والخطب، وغير ذلك، فانتفع بذلك المقيم، فلو أن الناس استغنوا عن الكسب لافتقروا لكنهم لما افتقروا تم الغنى" (٢٠٣).

وله أقوال وحكم ومشاركات في العلوم كثيرة، تدل على علمه وخبرته وممارسته، ذكرها من ترجم له، وأودع شيئاً منها في كتاب الصحاح.

وكان الوزير ابن هبيرة فصيحاً مفوهاً، يميل إلى العربية والأدب والشعر، وكان له مراسلات وأخوانيات إلى الخلفاء والملوك وإلى أصحابه ذكرها ابن

المارستانية في كتابه عن سيرة الوزير^(٢٠٤)، ولقد حفظ لنا بعض من ترجم له شيئاً من شعره فمن ذلك قوله^(٢٠٥):

يا أيها الناس إني ناصح لكم فعوا كلامي، فإني ذو تجاريب
لا تلهينكم الدنيا بزهرتها فما تدوم على حسن ولا طيب
وقوله^(٢٠٦):

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع
وقال في قصيدة طويلة^(٢٠٧):

الحمد لله هذا العين لا الأثر فما الذي باتباع الحق ينتظر
وقت يفوت وأشغال معوقة وضعف عزم، ودار شأنها الغير
والناس ركضاً إلى مهوى مصارعهم وليس عندهم من ركضهم خير
تسعى بها خادعات من سلامتهم فيبلغون إلى المهوى وما شعروا
والجهل أصل فساد الناس كلهم والجهل أصل عليه يخلق البشر
وإنما العلم عن ذي الرشد يطرحه كما عن الطفل يوماً يطرح السرر
وأصعب الداء داء لا يحس به كالدق يضعف حساً وهو يستعر
ومن قصائده الحكيمة في هذا المعنى قوله^(٢٠٨):

حسوم لا يلائمها البقاء وأجزاء تحللها الثواء
وكون الشيء لا ينفك يغني فذلك أن غايته الفناء
نكب على التكاثر وهو فقر وتعجبنا السلامة وهي داء

ونجزع للشدائد وهي نصح وتغرينا وقد عز الرجاء
تنافى الناس فانتفوا اضطراباً وقد يُرجى من الداء الدواء
وعم الفقر فاستغنوا، ولولا عموم الفقر ما عم الغناء
هذا بعض من قصائده وإلا فهي كثيرة، ومختلفة في الموضوع؛ في الزهد،
والمناسبات كالأعياد والحروب، وغيرها، وقد وصف الأصبهاني شعره بأنه
حسن^(٢٠٩).

مصنفاته :

صنف الوزير ابن هبيرة العديد من الكتب في عدة فنون متعددة، في
الحديث، والفقه، واللغة، والنحو وتلك المصنفات هي :

١ - الإفصاح عن معاني الصحاح^(٢١٠) : كتاب جليل القدر، بل إنه من
أفضل الكتب التي صنف في بابيه في عصر المؤلف، وهو شرح لكتاب "الجمع
بين الصحيحين" للإمام الحافظ، ورائد عصره في علوم الحديث، أبي عبدالله بن
محمد أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الأندلسي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)^(٢١١).

والكتاب يُعد من الكتب المهمة في بابيه أثنى عليه العديد من العلماء القدامى
والمحدثين، منهم العماد الأصبهاني قال: "وبذل على حفظه ونسخه أمواله، حتى
كان في زمانه لا يشتغل إلا به"^(٢١٢).

وكذلك ابن خلكان إذ يقول عنه: "كان عالماً فاضلاً، وصنف كتاباً فمن
ذلك " الإفصاح عن شرح معاني الصحاح ... شرح الجمع بين الصحيحين،
وكشف عما فيه من الحكم النبوية"^(٢١٣).

وفصل ابن رجب الحنبلي وذكر أنه عندما بلغ حديث "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" ^(٢١٤)، شرح الحديث، وتكلم عن معنى الفقه، وآل به الحديث إلى ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين، ويقول: إن شرح ابن هبيرة لهذا الحديث أطال فيه وتناول الكثير من الأمور المتعلقة به، حتى أن العلماء أفردوه وجعلوه مجلدة مفردة وسموه بكتاب "الافصاح" وهو جزء من كتابه إلى أن يقول: "وهذا الكتاب صنفيه في ولايته الوزارة، واعتنى به، وجمع عليه أئمة المذاهب، وأوفدهم من البلدان إليه لأجله، وحدث به، واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه، وكتب به نسخة لخزانة المستنجد وبعث ملوك الأطراف ووزرائها وعلمائها، واستنسخوا لهم منه نسخاً، ونقلوها إليهم، حتى السلطان نور الدين الشهيد، واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم، يدرسون منه في المدارس والمساجد، ويعيده المعيدون ويحفظ منه الفقهاء" ^(٢١٥).

ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد تناول العلماء في عصره وبعد عصره بالدراسة والنقل والشرح والتلخيص، فهذا أبو الفرج ابن الجوزي (رحمه الله) قام بانتقاء ما في كتابه مما أثار إعجابه وجعله في كتاب له سماه "محض المحض" ^(٢١٦)، كما أنه صنف كتاباً آخر سماه "المقتبس من الفوائد العونية" وذكر فيه الفوائد التي سمعها من الوزير عون الدين، وأشار إلى مقاماته في العلوم ^(٢١٧).

كما قام بشرحه أبو علي الحسن بن الخطير النعماني الفارسي (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) واختصره في كتابه الذي سماه "الحجة" ^(٢١٨).

كما أن الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١١٤٨م) قام بتلخيصه ^(٢١٩).

كما أن حاجي خليفة جعله من أهم الكتب التي تناولت الصحيحين بالشرح والدراسة والتعليق^(٢٢٠).

ومن تناول هذا الكتاب وأثنى عليه من العلماء المحدثين، ومن كان له به دراية، الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي إذ يقول^(٢٢١):

"وجمع فيه أهم ما اتفق عليه واختلف فيه من الفروع بين المذاهب الأربعة، فهو في موضوع بداية المجتهد لابن رشد ... ولا غرو فالكتاب جدير بهذه العناية لشموله مع اختصاره، ولحسن ترتيبه ووضعه، ولجزالته وصحة إنشائه ... إن الطريقة التي جرى عليها المؤلف في إجمال ما اتفقت عليه المذاهب الأربعة، وما اختلفت فيه، قد دلت على فضل عظيم لهذا الوزير العالم الصالح".

كما وأثنى على هذا الكتاب الأستاذ الفاضل الدكتور عبدالرحمن بن عثيمين إذ يقول: "كتاب واسع مفيد، أدخل فيه فنوناً كثيرة من فقه، ولغة، ونحو، وقراءات وغيرها. طالعت فيه وأفدت منه فوائد كثيرة"^(٢٢٢).

وهذا الكتاب عبارة عن قطعة من الكتاب بكامله^(٢٢٣)، وأفردته الناس لأهميته، ويشمل تسعة عشر كتاباً^(٢٢٤)، وبين ابن هبيرة ما كان يرمي إليه من تصنيفه هذا الكتاب، فذكر أن عزيمته كانت شديدة إلى رواية كتاب يشتمل على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المشهود لها بالصحة وأن يذكر فقه تلك الأحاديث، لما "تشتمل من الأمور المهمة، والشؤون اللازمة في الدين، وفيما يرجع إلى العبادات والإخلاص فيها والآداب لها، وغير ذلك من أعمال الآخرة وتركبة النفوس"^(٢٢٥).

ويقول: إن الكثير من العلماء طرّقوا هذا الباب، وأتى كل واحد منهم على غرضه وقصده وما رمى إليه من تصنيفه، ولم يجد ابن هبيرة في تلك المصنفات

كتاباً حاوياً تتطلع إليه نفسه، حتى وقع على كتاب "التمهيد" ليوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر الأندلسي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، وذكر أن كتابه هذا من أنفس الكتب التي قرأها على أن له عليه ثلاثة مآخذ في كتابه ذلك^(٢٢٦).

ثم يقول: إنه فكر بعد ذلك ورأى إجماع الأمة على صحيح البخاري ومسلم، فعقد النية على أن يجعلها مستنداً فيما رمى إليه، ورأى أن كتاب الحميدي "الجمع بين الصحيحين" أفضل الكتب التي صنف في هذا العنوان لحسن تأليفه، وأنه رتبته على أسماء الرجال^(٢٢٧) وكان قد سمعه عن أستاذه أبي الحسن علي بن محمد الهروي^(٢٢٨) في سنة (٥٣١هـ / ١١٣٦م)، وأستاذه سمعه من الحميدي سنة (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)^(٢٢٩)، فكان أن اعتمده في دراسته تلك^(٢٣٠).

٢- المقتصد: وهو مختصر لطيف في النحو قال عنه ابن هبيرة: عرض علي مختصر كنت قد صنعت في النحو، وقد كررت نساخته مراراً كثيرة^(٢٣١)، وعرضه على أئمة النحاة والأدب، فشرحه ابن الخشاب عبدالله بن أحمد بن أحمد النحوي البغدادي (ت ٥٦٧هـ / ١١٧١م) في أربع مجلدات، وبلغ في الثناء عليه^(٢٣٢)، وعرف هذا الشرح "بالمقدمة"^(٢٣٣).

٣- ومن الكتب التي وضعها ابن هبيرة أنه قام باختصار كتاب "إصلاح المنطق" ليعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨م) إمام اللغة والأدب في عصره، ولقد اطلع ابن الخشاب على مختصر ابن هبيرة هذا وأثنى عليه^(٢٣٤).

٤- العبادات الخمس على مذهب الإمام أحمد: وقد حدث به، وألقاه في هيئة دروس بحضور أئمة المذاهب الأربعة^(٢٣٥).

٥- أرجوزة في المقصور والمدود^(٢٣٦).

٦- أرجوزة في علم الخط^(٢٣٧).

٧- كتاب في العروض^(٢٣٨).

٨- كتاب شعر يشرح فيه أبيات جمعها من شعر المستنجد: يقول
العماد الأصبهاني في حق المستنجد: "وله شعر، فمن ذلك ما ذكره الوزير عون
الدين يحيى بن هبيرة في كتاب صنفه يشرح أبياته ويقول: (وإنما غرض كتابنا
هذا شرح أبيات سمح بها خاطره ارتجالاً)^(٢٣٩).

تشجيعه للعلماء:

لا يقدر أهل العلم إلا من عَرَفَ قيمة العلم، وفضل حملته، وابن هبيرة كان
من العلماء المعدودين في عصره ولا سيما في علوم الدين، لذلك فقد احتضن
العلماء والفقهاء والأدباء وجعلهم رجال مجالسه العامة والخاصة، وكانوا
ملازمين له حتى في حروبه وأسفاره قال ابن رجب: "ولما ولي الوزير أبو المظفر
(رحمه الله) الوزارة، بلغ في تقريب خيار الناس من الفقهاء والمحدثين
والصالحين، واجتهد في إكرامهم وإيصال النفع إليهم"^(٢٤٠).

ولقد اتفقت المصادر كلها التي بحثت شخصيته على أنه كان من أشهر
وزراء الدولة العباسية احتفاءً بالعلماء والمفكرين، فكان يحبهم ويكثر مجالستهم،
ويغدق عليهم الأموال، ويسهل أمورهم، قال مرة في وزارته: "والله لقد كنت
أسأل الله تعالى الدنيا لأخدم بها يَرْزُقْنِيهِ منها العلم وأهله"^(٢٤١).

قال العماد الأصبهاني: "كان مقرباً لأولي الفضل والدين"^(٢٤٢) وقال ابن
الجوزي: وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء، وكانت أمواله مبدولة لهم وللتدبير،
فكانت السنة تدور وعليه ديون"^(٢٤٣).

وقال الذهبي: " وكان مكرماً، مقرباً لأهل العلم والدين " (٢٤٤).

وقال ابن القطيعي: " يحب أهل العلم كثيراً، ويكثر مجالستهم، ومذاكرتهم " (٢٤٥).

وقال ابن الديلمي: " وكان مكرماً للعلماء، يحضر مجلسه الفقهاء والعلماء " (٢٤٦).

وقال ابن واصل: " كان محباً لأهل العلم، محسناً إليهم " (٢٤٧).

وكان كثير العطف والإحسان على الطلاب ولاسيما الفقراء منهم، وقصته مع فقهاء المدرسة التي بناها ابن طلحة تدل على ذلك، حين قام غلمان الوزير بقفل بابها فاعترضهم الفقهاء وضربوهم بالآجر، ولحق العقاب بالفقهاء، ثم استدعاهم الوزير وأرضاهم وصرف لهم الأموال وأعيدوا إلى المدرسة بعد أن أغلقت أياماً (٢٤٨).

وكان للوزير مجلس علمي يحضره لفيف من كبار الفقهاء والأدباء والعلماء، وكان يعقد مجلسه هذا كل يوم للبحث والمناظرة، وسماع الحديث قال ابن المارستانية عن أيام وزارته: " وارتاحت فيها للطلبة للعلوم نفوس، ولم تخل أيامه ومجالسه من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضرة " (٢٤٩).

وقال ابن الجوزي: " وكان يقرأ عنده الحديث في كل يوم بعد العصر " (٢٥٠).

وقال الذهبي: " ويقرأ عنده الحديث عليه، وعلى الشيوخ بحضوره، ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره " (٢٥١).

وقال أبو شامة: " وكان يجمع في مجلسه أفاضل الوقت من أعيان المذاهب الأربعة، والنحاة، ويجري بحضرتهم فوائد كثيرة " (٢٥٢).

وكان من رواد مجلسه العلمي أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، وقد كان يُملي عليه وعلى من يحضر مجلسه كتابه الإفصاح^(٢٥٣)، وكان لابن الجوزي هذا في دار الوزير ابن هبيرة مجلس علمي يحضره الطلبة والفقهاء وعامة الناس، يلقي عليهم الدروس، وكان هذا المجلس يعقد مرة واحدة في الأسبوع وهو يوم الجمعة^(٢٥٤).

وكذلك كان يحضر مجلسه العلمي أبو عبدالله عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، فقد كانت تجمعها مودة وصحبة، وكذلك ابن المارستانية الذي ألف كتاباً عن سيرة الوزير فهو يقول: "كنا يوماً بالمجلس على العادة لسماع الحديث"^(٢٥٥). وكذلك أبو محمد الأشتري المالكي، وكان من علماء المالكية طلبه ابن هبيرة من نور الدين محمود زنكي ليضمه إلى مجلسه العلمي^(٢٥٦). وكذلك كان ممن يحضر مجلس الوزير يوسف الدمشقي شيخ المدرسة النظامية^(٢٥٧)، وكثير من أمثال هؤلاء العلماء، وبعض الفقهاء.

وكان من ضمن أعمال الوزير في تنشيط الحركة العلمية التي تذكر له، بناؤه المدرسة المعروفة باسمه في باب البصرة، والتي اكتمل بناؤها سنة ٥٥٧هـ / ١١٦١م وأقام فيها الفقهاء ورتب لهم الجراية، وجعل الشيخ أبو الحسن البراندسي مدرساً بها^(٢٥٨).

هذه صورة جليلة وجميلة وعطرة لواحد من الشخصيات الإسلامية المؤمنة الجادة، الصادقة، التي كثيراً ما نجد لها تظهر بين الحين والآخر للعطاء والإصلاح، رحم الله الوزير ابن هبيرة، ورحم الله المصلحين في تاريخ هذه الأمة المجيد.

وصلى الله وسلم على رسولنا محمد وعلى أصحابه الكرام وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الهوامش

- (١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٠٧، الذهبي: المختصر المحتاج إليه ج ٢ ص ١٨٧ رقم الترجمة ٨٢٩، الزركلي: الأعلام ج ٤ ص ١٩٥.
- (٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٣ ص ١٤٠، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨١.
- (٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٤٧، ياقوت: معجم الأدباء ج ١٩ ص ١١، أبو شامة: كتاب الروضتين: ج ١ ص ١٤٤.
- (٤) العماد الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر. القسم العراقي ج ١ ص ٣٩.
- (٥) ياقوت: معجم الأدباء ج ١٩ ص ١١.
- (٦) العماد الأصبهاني: خريدة القصر القسم العراقي ج ١ في أماكن كثيرة ومتفرقة من هذا الجزء.
- (٧) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب ص ٣٤.
- (٨) ذكر الكثير من المصادر نسبه كاملاً إلى عدنان، ويذكر ابن خلكان أن نسبه هذا أخرج له بعد توليه الوزارة بسنين، وتختلف هذه المصادر في بعض أسماء سلسلة نسبه فجعل ابن الديبشي بدلاً عن سعد سعيد. الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديبشي ج ٣ ص ٢٤٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٠.
- (٩) اتفقت جميع المصادر التي درست حياة الوزير على سنة ولادته ماعدا ابن الجوزي فقد جعل ولادته سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م مشيخة ابن الجوزي ص ١٩٥، ويسدو أن ذلك تصحيفاً وقع من الناسخ لأنه ذكر في المنتظم ج ١٨ ص ١٦٦ أن ولادته كانت سنة ٤٩٩هـ.

(١٠) دجيل: موضع يقع بين بغداد وتكريت ينسب إليها جماعة من الفضلاء. ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٤٤٣.

(١١) نفسه ج ٢ ص ٤٨١.

(١٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٠، ويذكر ابن الطقطقي أنه "كان أكاراً بها". الفخري في الآداب السلطانية ص ٣١٢.

(١٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ج ٨ ص ٢٥٨.

(١٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٩.

(١٥) ابن الطقطقي: الفخري ص ٣١٢.

(١٦) نفسه ص ٣١٢.

(١٧) ابن رجب: كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٥١.

(١٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣١.

(١٩) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥١.

(٢٠) نفسه ج ١ ص ١٧٦، العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٤ ص ٧٩،
العليمي: المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ص ٢٧٥.

(٢١) العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ٨٠ - ٨١، ابن مفلح: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب
الإمام أحمد ج ٢ ص ٢٣٢.

(٢٢) العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ١١٦، ابن مفلح: المقصد الأرشد ج ٢ ص ١٧٦،
الذهبي: العبر في خبر من غبر ج ٢ ص ٤٥٦.

(٢٣) العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ٧٩ وقد سماه أحمد بن علي خطأ، الذهبي: العبر ج ٢
ص ٤٣٠.

- (٢٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٦٧١، العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ٧٧، الذهبي: العبر ج ٢ ص ٤٢٧، ويذكر ابن خلكان أنه أخذ الحديث أيضاً من إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه إسماعيل بن محمد بن قيله الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)، وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣١.
- (٢٥) ابن الأثير: الكامل ج ١١ ص ٦٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٦١، العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ٩٨ - ٩٩.
- (٢٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص ٣٤٢، القفطي: إنباه الرواه على أنباء النحاه ج ٣ ص ٣٣٥، العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ١٢٧.
- (٢٧) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج ١٨ ص ١٤٥، السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه ج ١ ص ٢٦٣.
- (٢٨) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥١.
- (٢٩) معلومات موسعة عن ذلك انظر:
- بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد.
- (٣٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٨، السبكي: طبقات الشافعية ج ٤ ص ٣١١، ج ٧ ص ١٣٧.
- (٣١) السبكي: طبقات الشافعية ج ٤ ص ٣١٣-٣١٤.
- (٣٢) أبو عبدالله محمد بن المستظهر بالله سمع الحديث ونال حظاً جيداً من العلم، تولى الخلافة سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، كان عالماً أديباً شجاعاً دمث الأخلاق قليل المثل في الخلفاء، وفي عهده عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء. ابن الجوزي: المنتظم ج ١٧ ص ٣١٣، الأصبهاني: خريدة القصر ج ١ ص ٣٤، ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٢٢٥.

(٣٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١٦٧.

(٣٤) أبو المظفر يوسف ابن المفتي لأمر الله ببيع له الخلافة سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) معروف بالعدل والرفعة أزال المكوس والضرائب، وكان موصوفاً بالفهم والذكاء، وله مشاركات في الأدب، ومعرفة بآلات الفلك والأسطرلاب. ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٣٩، الأصبهاني: خريدة القصر ج ١ ص ١٨، السيوطي: تاريخ الخلفاء ٤٠٧-٤٠٨.

(٣٥) الفخري ص ٣١٢.

(٣٦) العبر ج ٣ ص ٣٥.

(٣٧) خريدة القصر وجريدة العصر ج ١ ص ٩٧.

(٣٨) المنتظم ج ١٨ ص ١٦٩.

(٣٩) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦٠.

(٤٠) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٢٢٥.

(٤١) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦١.

(٤٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٤٣) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص ٢٣.

(٤٤) انظر شروط ومطالب الخليفة المأمون في اختيار وزيره. نفسه ص ٢٣-٢٤.

(٤٥) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٦.

(٤٦) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٧٣.

(٤٧) نفسه ج ١ ص ٢٥٨، العليني: المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٣٨.

(٤٨) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦١.

(٤٩) نفسه ج ١ ص ٢٦١.

(٥٠) نفسه ج ١ ص ٢٧٦.

(٥١) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦١، العلمي: المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٣٩.

(٥٢) انظر هذه الحكاية في سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ج ٨ ص ٢٥٨، ابن

خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٩، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٦٧

ورواها بطريقة تختلف عن المصدرين السابقين.

(٥٣) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦١.

(٥٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٧.

(٥٥) العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ١٩٣.

(٥٦) نفسه: ج ٤ ص ١٩٦، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٥٧.

(٥٧) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ١٦١، العلمي: المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٥٧،

العماد الأصبهاني: الخريدة ج ١ ص ٩٩-١٠٠.

(٥٨) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٣٨١.

(٥٩) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٧.

(٦٠) الشذرات ج ٤ ص ١٩١.

(٦١) نفسه ج ٤ ص ٢٥٩.

(٦٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٤٢٦، ابن مفلح: المقصد الأرشد ج ٣ ص ١٠٩.

(٦٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٦-١٦٧، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨

ص ٢٥٦، العلمي: المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٣٧، ابن رجب: الذيل ج ٢ ص ٢٥٧.

(٦٤) كان من أفاضل أهل بغداد، وكان أدبياً، شاعراً، عارفاً بالحديث رواه عن مجموعة

(ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م) ابن الجوزي: المنتظم: ج ١٨ ص ٢٠٨، ابن الأثير: الكامل ج ١١

ص ٤١١، العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٣١.

(٦٥) أبو الفضل محمد ابن الحسين بن العميد من وزراء الدولة البويهية، ومن كبار كتابها وأدبائها، أخباره كثيرة في الصادر (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م). الثعالبي: بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ج ٣ ص ١٨٣ وما بعدها، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٠٣ وما بعدها.

(٦٦) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦٢-٢٦٣، ابن ظافر: أخبار الدولة المنقطعة ص ٣٠٠.

(٦٧) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦٠.

(٦٨) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٥٧، ابن الطقطقي: الفخري ص ٣١٢.

(٦٩) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٨.

(٧٠) العليمي: المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٣٧.

(٧١) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٨٣، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٥٩.

(٧٢) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٨٢-٢٨٣، ابن الطقطقي: الفخري ص ٣١٣.

(٧٣) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٨١.

(٧٤) ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٠٦.

(٧٥) العماد الأصبهاني: الخريدة ج ١ ص ١٠٠، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٦١.

(٧٦) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦١-٢٦٢.

(٧٧) نفسه ج ١ ص ٢٦١.

(٧٨) نفسه ج ١ ص ٢٥٦، العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ١٩٣-١٩٤.

(٧٩) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦٢.

(٨٠) نفسه ج ١ ص ٢٨٣.

(٨١) المنتظم ج ١٨ ص ١٦٧.

(٨٢) شحنة: كان الشحنة بمثابة مندوب للحاكم يعين في المدن التابعة له، وكانت مهمته مراقبة القوى الأخرى المعارضة، وكان يسيطر على الإدارة، ويحافظ على الأمن، ويحصل الضرائب والمكوس. الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ج ٢ ص ٦٢٣

(٨٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٧، ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٦.

(٨٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٨-١٦٩، ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٤.

(٨٥) ستحدث عنها عند الحديث عن أثره في الحياة السياسية والإدارية.

(٨٦) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦٣، العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ١٩٤، العلمي: المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٣٩.

(٨٧) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٨٨.

(٨٨) خريدة القصر ج ١ ص ٩٨.

(٨٩) نفسه ج ١ ص ٩٨.

(٩٠) أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد التميمي، من شعراء عصره المتفوقين كان عالماً باللغة وأشعار العرب وأخبارها. العماد الأصبهاني: خريدة القصر ج ١ ص ٢٥٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٦٢، ياقوت: معجم الأدباء ج ١١ ص ١٩٩.

(٩١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٥، انظر قصيدة أخرى له في مدح الوزير. العماد الأصبهاني: الخريدة ج ١ ص ٢٨٧.

(٩٢) أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله كان من شعراء عصره المعدودين. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٦٦، ياقوت: معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٣٥.

(٩٣) أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله الشاعر المبدع، الذي تميز شعره بجمال الألفاظ، ورقة الأسلوب. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٦٣.

(١١٠) خريدة القصر ج ١ ص ٥٦.

(١١١) نفسه ج ١ ص ١٨٠.

(١١٢) نفسه ج ١ ص ١٨٠.

(١١٣) المنتظم ج ١٨ ص ١٦٩ - ١٧٠.

(١١٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٧.

(١١٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣١. والقراح من الأرضين: كل قطعة على حياها من منابت النخل وغير ذلك والجمع أقرحة، وقيل أن القراح هو الأرض المخلصة لزرع أو لغرس، وقيل القراح هو المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر. ابن منظور: لسان العرب ج ٢ ص ٥٦١.

(١١٦) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣١.

(١١٧) مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٥٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٩.

(١١٨) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ٥٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣١، ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٣، ويقول الياضي: ان الخليفة ولاء ديوان الخاص، مرآة الجنان ج ١ ص ٣٤٤. أما ديوان الزمام أو الأزمة فقد استحدثه المهدي سنة ١٦٢ هـ وولي عليها عمر بن بزيع مولاه. الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ١٤٢، الجهشياري: كتاب الوزراء والكتاب ص ١٦٦، وديوان الزمام كان يشرف على ضبط وتدقيق الحسابات والشؤون المالية التي يتصرف بها كل ديوان من الدواوين الصغيرة، فكان لكل ديوان زمام وله رجل يضبطه. صبحي الصالح: النظم الاسلامية ص ٣١٦.

(١١٩) الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٢٦، ابن الأثير: الكامل ج ١١ ص ١٤٣-١٤٦، ابن

ظافر: أخبار الدولة المنتقطة ص ٣٠٢-٣٠٣.

(١٢٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٢.

- (١٢١) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ٧١، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٤٦.
- (١٢٢) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٣.
- (١٢٣) المرجع نفسه.
- (١٢٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٧، العليمي: المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٣٨.
- (١٢٥) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٣٩.
- (١٢٦) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٦١.
- (١٢٧) القزويني: آثار البلاد ص ٣٦٧.
- (١٢٨) انظر ص ٢٤ من هذا المبحث.
- (١٢٩) المنتظم ج ١٨ ص ١٦٧، العليمي: المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٣٧.
- (١٣٠) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦٠، ابن مفلح: المقصد الأرشد ج ٣ ص ١١٠.
- (١٣١) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٤٠، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٥٨.
- (١٣٢) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٤١، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٥٨.
- (١٣٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٤٣.
- (١٣٤) نفسه ج ١٨ ص ١٤٨.
- (١٣٥) نفسه ج ١٨ ص ١٥٥.
- (١٣٦) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٥٥، العماد الأصبهاني: الخريدة ج ١ ص ٣٩-٤٠، تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٣٤-٢٣٥.
- (١٣٧) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٤.
- (١٣٨) المرجع نفسه.

- (٩٤) نفسه ج ٤ ص ٤٦٥.
- (٩٥) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٨٦.
- (٩٦) نفسه ج ١ ص ٢٨٧.
- (٩٧) المنتظم ج ١٨ ص ١٦٩.
- (٩٨) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ١١ الورقة ٥٣ أب .
- (٩٩) ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٢٤٦.
- (١٠٠) المنتظم ج ١٨ ص ١٦٩.
- (١٠١) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٨٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٤١.
- (١٠٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٤٦، ابن كثير: البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١٩.
- (١٠٣) لا يعرف متى تولى الوزارة على التحديد، ولكن بعد موت ابن هبيرة استتاب عنه الخليفة المستنجد قاضي القضاة أبا البركات جعفر بن الثقفي، إلى ان استحضر الخليفة ابن البلدي من واسط واستوزره، الأربلي: خلاصة الذهب المسبوق ص ٢٧٨.
- (١٠٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٦٢، الذهبي: السير ج ٢٠ ص ٤٣١.
- (١٠٥) واسط: مدينة في الوسط بين البصرة والكوفة، ينسب إليها مجموعة من العلماء، أنشأها الحجاج سنة ٨٤هـ / ٧٠٣م على أيام عبد الملك بن مروان. لمعلومات موسعة. انظر ياقوت: معجم البلدان ج ٥ ص ٣٤٧ وما بعدها.
- (١٠٦) ابن الأثير: الكامل ج ١١ ص ٣٣٢.
- (١٠٧) مسالك الأبصار ج ١١ الورقة ٥٢ ب .
- (١٠٨) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ٢٠١.
- (١٠٩) العمري: مسالك الأبصار ج ١١ الورقة ٥٣ أب، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٣٦١.

- (١٣٩) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٥٦.
- (١٤٠) نفسه ج ٦ ص ٢٥٦.
- (١٤١) نفسه ج ٦ ص ٣٦٢.
- (١٤٢) ابن ظافر: أخبار الدولة المنقطعة ص ٣٠٤.
- (١٤٣) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٤٠-١٤١، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٣٦٢.
- (١٤٤) ابن ظافر: أخبار الدولة المنقطعة ص ٣٠٤.
- (١٤٥) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٤٨، أما وحدات الوزن الواردة في هذا النص فيقول السيوطي: "إن الرطل جمع كل الموزونات، فهو أثنا عشر أوقية، والأوقية، أستار، والأستار: أربعة مثاقيل، والمثقال: درهم وثلاثة أسباع درهم. والدرهم: ثمانية دوايق، والدائق: قيراطان، والقيراط: طسوجان، والطسوج: حبتان، والحبة هي حبة الحنطة". وجعل الجوهري المن برطلين. الكرمل: النقود العربية وعلم النميات ص ٣٨.
- (١٤٦) أخبار الدولة المنقطعة ص ٣٠٣.
- (١٤٧) العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٨.
- (١٤٨) الخريدة ج ١ ص ٣٨.
- (١٤٩) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ٨٥. وحلة مزيد مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كان أول من نزلها وعمرها سيف الدولة صدقة ابن منصور بن دبس الأسدي. ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٩٤.
- (١٥٠) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٩٦، الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٤٩ - ٢٥٠.
- (١٥١) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ٨٥، العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٩.

(١٥٢) الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٥٠-٢٥٢، العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٣٠.

(١٥٣) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٧٦-٢٧٧، ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٤٨.

(١٥٤) الشاطر، العيار، الفتى: كلمات ذات مدلول واحد أطلق على فئة ظهرت في مجتمع بغداد وبعض مدن العراق، اختلفت أنشطة هذه الشريحة الاجتماعية وأهدافها بين الفينة والأخرى، حسب انضباط الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية أو عدم انضباطها ما بين أعمال الفوضى والسلب عند شعورها بالظلم وضياع الحقوق، وبين المثل العليا من شهامة ونجده ودفاع عن أمن الناس في وقت الاعتداء الخارجي على العراق ومدنه. لمعلومات موسعة. انظر: النجار: حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي، سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(١٥٥) يذكر ابن الجوزي في أحداث ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م خبر مقتل تسعة من اللصوص قاموا بأعمال نهب وسلب وقتل. المنتظم ج ١٨ ص ١٦٠، وكذلك خبر العيارين الذين نهبوا بعض مجتمعات العسكر وهم نيام ج ١٨ ص ١١٧.

(١٥٦) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٦٧.

(١٥٧) المنتظم ج ١٨ ص ١٦٧.

(١٥٨) البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٦٩.

(١٥٩) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٤١.

(١٦٠) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٨، ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٠-١٩٦.

(١٦١) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٠.

(١٦٢) نفسه ج ١٨ ص ٨٩، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٦٠.

(١٦٣) الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٤١.

- (١٦٤) العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق.
- (١٦٥) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٦١.
- (١٦٦) نفسه ج ٦ ص ١٦٢، الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٤٢، العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢١٦.
- (١٦٧) العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢١٧.
- (١٦٨) نفسه ص ٢١٧.
- (١٦٩) الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٤٤.
- (١٧٠) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٩٥.
- (١٧١) هكذا في ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٩٥، وعند العماد الأصبهاني، والحسيني: كان قائد الجيش هو الخليفة. على التوالي ص ٢١٨، ص ٢٤٤.
- (١٧٢) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٩٥.
- (١٧٣) نفسه ج ٦ ص ١٩٤-١٩٥، الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٤٢، ٢٤٦، العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢١٨-٢٢٠.
- (١٧٤) الكامل ج ٦ ص ١٩٤، ويقال لها أيضاً بجمزا: قرية على طريق الذهاب إلى خراسان. ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٠ - ٤٧٥.
- (١٧٥) عند ابن الأثير ٥١١هـ / ١١٥٦م. الكامل ج ٦ ص ٢١٢، وكذلك عند العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٨.
- (١٧٦) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢١٢ - ٢١٣.
- (١٧٧) العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٢٨.
- (١٧٨) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢١٣.

- (١٧٩) الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٤٧ .
- (١٨٠) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١١١، والعرادات: آله تشبه المنجنيق صغيرة. ابن منظور: لسان العرب ج ٣ ص ٢٨٨ .
- (١٨١) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١١٣ .
- (١٨٢) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢١٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٤ .
- (١٨٣) الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٤٨-٢٤٩ .
- (١٨٤) نفسه ص ٢٤٩ .
- (١٨٥) نفسه ص ٢٥٢، العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٣٣ .
- (١٨٦) الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٥٣ .
- (١٨٧) العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٣٤ .
- (١٨٨) الحسيني: زبدة التواريخ ص ٢٥٣ .
- (١٨٩) ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢١٥ .
- (١٩٠) نفسه ح ٦ ص ٢٦٣ .
- (١٩١) نفسه ج ٦ ص ٢٦٣، العماد الأصبهاني: تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٧٠، ابن كثير: البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٦٠ .
- (١٩٢) ابن الجوزي: مشيخة ابن الجوزي ص ١٩٥، ابن مفلح: المقصد الأرشد ج ٣ ص ١٠٧، الذهبي: المختصر المحتاج إليه ص ٢٤٨، ظافر: أخبار الدولة المنقطعة ص ٢٩٩ .
- (١٩٣) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٤٢٦ .
- (١٩٤) الذهبي: كتاب دول الإسلام ج ٢ ص ٥٣ .
- (١٩٥) تاريخ أربل ج ٢ ص ٣٢٩ .

- (١٩٦) الخريدة ج ١ ص ٩٧ .
- (١٩٧) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج ١ ص ١٤٧ .
- (١٩٨) الذيل ج ١ ص ٢٨٠ ، انظر بعض رسائله تلك في زبدة التواريخ ص ٢٤٨ .
- (١٩٩) كتاب الروضتين ج ١ ص ١٤١ .
- (٢٠٠) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .
- (٢٠١) أبو شامة: كتاب الروضتين ج ١ ص ١٤١ .
- (٢٠٢) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .
- (٢٠٣) نفسه .
- (٢٠٤) نفسه ج ١ ص ٢٨١ .
- (٢٠٥) نفسه ج ١ ص ٢٨٠ .
- (٢٠٦) نفسه ج ١ ص ٢٨١ .
- (٢٠٧) نفسه .
- (٢٠٨) نفسه ج ١ ص ٢٨٢ ، والبيت الأخير يمثل بعض أقوال الحكمية السابقة .
- (٢٠٩) الخريدة ج ١ ص ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ .
- (٢١٠) ويوجد منه بعض أجزاء من نسختين إحداهما في مكتبة مدينة المتحف بتركيا رقم (٢٨١-٢٨٣) وجزء منه في مكتبة أحمد الثالث رقم (١٠٦٣) وفي المدينة المنورة منه نسخة أخرى (بعض أجزاء الكتاب بأوقاف المدرسة المحمودية رقم (٣) حديث المقصد الأرشد ج ٣ ص ١٠٧ حاشية المحقق رقم (١) . وطبع الجزء الأول من الكتاب بتحقيق د/ فؤاد عبد المنعم أحمد، قطر ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. ضمن سلسلة من ذخائر التراث الإسلامي، كما نشر قبل هذه الطبعة في حلب سنة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م بعناية الشيخ الفاضل محمد راغب الطباخ الحلبي. كما طبع في الرياض بواسطة المؤسسة السعيدية، توزع مكتبة الحرمين، الرياض (د.ت).

(٢١١) الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ص ١٢٣، ابن الجوزي: المنتظم ج ١٧ ص ٢٩، ابن خللكان: وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٨٢، الذهبي: تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٢١٨.

(٢١٢) الخريدة ج ١ ص ٩٨.

(٢١٣) وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٣.

(٢١٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم رقم (٥٦) ج ١ ص ١٠٠.

(٢١٥) الذيل ج ١ ص ٢٥٢، العليمي: المنهج الأحمد ج ٢ ص ٣٣٣، ونفس الكلام في المقصد الأرشد ج ٣ ص ١٠٧، وذكره باختصار ونسب الحديث إلى ابن الجوزي لا إلى ابن رجب، على أن ابن رجب يقول قبل حديثه عن هذا الكتاب "قلت".

(٢١٦) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٣.

(٢١٧) نفسه.

(٢١٨) حاجي خليفة: كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون ج ١ ص ٦٠٠.

(٢١٩) نفسه.

(٢٢٠) نفسه.

(٢٢١) ابن هبيرة: الإفصاح، طبعة حلب الثانية ص ٢. الزهراء ج ١ م ٥ ص ٤٤٨، القاهرة ١٣٤٧.

(٢٢٢) ابن مفلح: المقصد الأرشد ج ٣ ص ١٠٧، حاشية رقم (١).

(٢٢٣) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٢.

(٢٢٤) ابن خللكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٣.

(٢٢٥) ابن هبيرة: الإفصاح طبعة فطرج ج ١ ص ٣٩.

(٢٢٦) نفسه ج ١ ص ٤٠ .

(٢٢٧) نفسه ج ١ ص ٤١ .

(٢٢٨) لم أحصل على ترجمة له تتفق وفترة حياته قبل ابن هبيرة أو معاصرته له، هناك من هو بهذا الاسم ولكن في فترة بعيدة عن ابن هبيرة .

(٢٢٩) الإفصاح ج ١ ص ٤١ .

(٢٣٠) نفسه ج ١ ص ٤٧ .

(٢٣١) نفسه ج ١ ص ١٣٧ .

(٢٣٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٤، ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٢ .

(٢٣٣) القفطي: إنباه الرواه على أنباه النحاه ج ٢ ص ١٠٠ .

(٢٣٤) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٢ .

(٢٣٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٤، ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٢، ابن مفلح: المقصد الأرشد ج ٣ ص ١٠٨ .

(٢٣٦، ٢٣٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٣٤، ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٢، اليافعي: مرآة الجنان ج ٣ ص ٣٤٥ .

(٢٣٨) يذكر الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن عثيمين أنه اطلع عليه، ابن مفلح: المقصد الأرشد ج ٣ ص ١٠٨ حاشية رقم (٣) .

(٢٣٩) الخريدة ج ١ ص ١٩ .

(٢٤٠) الذيل ج ١ ص ٢٥٤ .

(٢٤١) نفسه ج ١ ص ٢٥٤، العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ١٩٣ .

(٢٤٢) الخريدة ج ١ ص ٩٧ .

- (٢٤٣) المنتظم ج ١٨ ص ١٦٨ .
- (٢٤٤) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦٠ .
- (٢٤٥) نفسه .
- (٢٤٦) المختصر المحتاج اليه ج ٣ ص ٢٤٨ .
- (٢٤٧) مفرج الكروب في أخبار بني ايوب ج ١ ص ١٤٧ .
- (٢٤٨) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٤٧ .
- (٢٤٩) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٥٤ .
- (٢٥٠) المنتظم ج ١٨ ص ١٦٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٤٢٨ .
- (٢٥١) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦٠، ابن مفلح: المقصد الأرشد ج ٣ ص ١١٠ .
- (٢٥٢) كتاب الروضتين ج ١ ص ١٤١ .
- (٢٥٣) العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ ص ١٩٤ .
- (٢٥٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٦٨ .
- (٢٥٥) ابن رجب: الذيل ج ١ ص ٢٦٢ .
- (٢٥٦) نفسه ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
- (٢٥٧) نفسه ج ١ ص ٢٥٥ .
- (٢٥٨) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٨ ص ١٥٣ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الخطية:

- العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
- "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" مخطوطة آيا صوفيا رقم ٣٤٢٤.

ثانياً : المصادر المطبوعة:

- ابن أبي أصيبعة: أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م).
- (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) تحقيق د/ نزار رضا، منشورات دار المكتبة الحية، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسين علي بن محمد بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
- * "الكامل في التاريخ"، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- * "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل" تحقيق عبدالقادر أحمد طليبات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، مكتبة المثنى بغداد (د.ت).
- ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).
- "النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة"، دار الكتب المصرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي البغدادي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).
- * المنتظم في تاريخ الأمم والملوك"، تحقيق / محمد عبدالقادر، مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

* مشيخة ابن الجوزي " تحقيق/ محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، اثينا - بيروت (د.ت).

- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
- " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " حققه د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- ابن رجب: زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي (ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م).
- " كتاب الذيل على طبقات الحنابلة "، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، مصورة عن الطبعة المصرية ١٩٥٢م.
- ابن ظافر: جمال الدين أبي الحسن علي بن ظافر بن الحسين (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م).
- " أخبار الدولة المنقطعة " تحقيق ودراسة د/ محمد بن مسفر الزهراني، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).
- " الفخري في الآداب السلطانية "، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ابن العديم: كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م).
- " بغية الطلب في تاريخ حلب " التراجم الخاصة بتاريخ السلاجقة، عنى بنشره وعلق عليه الدكتور علي سويم، مطبعة الجمعية التاريخية التركية، أنقرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٩م.
- ابن العمراني: محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/ ١١٦٤م).
- " الأنباء في تاريخ الخلفاء " تحقيق د/ قاسم السامرائي، دار العلوم، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- ابن كثير: الحافظ المؤرخ أبي الفدا إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م).
- " البداية والنهاية " تحقيق د/ أحمد أبو ملحّم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ابن المستوفي: شرف الدين أبي البركات المبارك بن أحمد (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)
- " تاريخ أربل " تحقيق د/ سامي الصقار، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، ١٩٨٠م.
- ابن مفلح: الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله (ت ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)
- " المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد " تحقيق د/ عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ابن هبيرة: الوزير العادل يحيى بن هبيرة الشيباني (ت ٥٦٠هـ/ ١٢٦١م).
- " الإفصاح عن معاني الصحاح " تحقيق د/ فؤاد عبدالمنعم أحمد، قطر، الدوحة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. الطبعة الثانية الحلبية ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، المكتبة الحلبية.
- ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م).
- " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " حققه د/ جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، وزارة المعارف المصرية، إدارة الثقافة العامة، ١٩٥٣م.
- ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر محمد (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م).
- " تمة المختصر في أخبار البشر " تحقيق أحمد رفعت البدرائي، دار المعرفة، لبنان، بيروت ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.
- أبو شامة: عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م).
- " كتاب الروضتين في أخبار الدولتين " دار الجليل، بيروت، (د.ت).
- الاربلي: عبدالرحمن بن إبراهيم بن قنيتو (ت ٧١٧هـ/ ١٣١٧م).
- خلاصة الذهب المسبوك، مختصر من سير الملوك "، صححه/ مكّي السيد قاسم، مكتبة

المثني، بغداد (د.ت).

- البخاري: أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م).

" صحيح البخاري " تحقيق قاسم الرفاعي، دار القلم، بيروت (د.ت).

- الثعالبي: عبدالملك بن محمد (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م).

" يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر " تحقيق د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية،

بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- الجهشياري: أبو عبدالله محمد عبدوس (ت ٣٣١هـ / ١٩٤٢م) " الوزراء والكتاب "، تحقيق

مصطفى السقا وآخرون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر

١٤٠١هـ / ١٩٨٠م.

- حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله

" كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون " منشورات مكتبة المثني، بغداد (د.ت).

- الحسيني: صدر الدين ابي الحسن علي بن نصر (ت بعد ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م).

" زبدة التواريخ، أخبار الأمراء والملوك السلاجقة "، تحقيق د/ محمد نور الدين، دار إقرأ،

بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- الذهبي: شمس الدين ابي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م).

" تذكر الحفاظ " السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، دار إحياء التراث

العربي (د.ت).

" سير أعلام النبلاء " تحقيق شعيب الارنؤوط / محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،

بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

" العبر في خبر من غبر " تحقيق / أبو هاجر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت).

"المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبدالله ابن الديلمي" ج ٣، تحقيق
د/ مصطفى جواد، راجعه د/ ناجي معروف، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد،
١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

- "سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قراو غلي علي بن عبدالله
(ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م).

"مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" ج ٨، حيدر آباد ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.

- السبكي: تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م).

"طبقات الشافعية الكبرى" تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، القاهرة،
١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

- السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

"بغية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة" تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الصبعة الثانية،
دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

- الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، "تاريخ الأمم والملوك" تحقيق/ محمد أبو
الفضل إبراهيم، مطبعة سويدان، بيروت، لبنان (د.ت).

- العليمي: أبو اليمن مجير الدين عبدالرحمن بن محمد (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١م).

"المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد" تحقيق/ محمد عي الدين عبدالحميد، الطبعة
الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- العماد الأصبغاني: أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).

"خريدة القصر وجريدة العصر" القسم العراقي، تحقيق د/ محمد بهجت الأثري، المجمع
العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٥-١٩٦٤م.

- "تاريخ دولة آل سلجوق"، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٨ م.
- العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبدالحلي ابن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩ م).
- "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" الطبعة الثالثة، دار المسيرة، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م.
- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣ م).
- آثار البلاد وأخبار العباد" دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م.
- القفطي: الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨ م).
- "إنباه الرواة على أنباه النحاة" تحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م.
- المارودي: علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ/ ١١٥٥ م).
- "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" راجعه د/ محمد فهمي، المكتبة التوفيقية (د.ت).
- ياقوت: ابن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨ م).
- "معجم الأدباء" دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت (د.ت).
- "معجم البلدان" دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧ م (د.ت).
- اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي المكي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦ م).
- "مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان"، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م.

ثالثاً : المراجع العربية.

- الباشا: الدكتور حسن.
- " الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية " دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- بدوي: عبدالفتاح أبو الفتوح.
- " التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد " عالم المعرفة، جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الزركلي: خير الدين.
- " الأعلام " الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩م.
- الصالح صبحي.
- " النظم الإسلامية نشأتها وتطورها " الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢م.
- الكرمل: الأدب انستاس ماري.
- " النقود العربية وعلم النميات، رسائل في النقود للبلاذري والمقرئزي والذهبي " محمد أمين دمج، بيروت، (د.ت).
- النجار: د. محمد رجب.
- " حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي " علم المعرفة، الكويت ١٩٨١م.

رابعاً : المجلات.

- مجلة الزهراء ج ١م ٥ القاهرة ١٣٧٤هـ.